

روايات عالمية للجيب 63

جوهرة
النجوم السبعة
Looloo

www.dvd4arab.com

تأليف: إرام ستوكر

ترجمة وإعداد: د. أحمد خالد توفيق



المؤلف



هذا هو لقائنا الثاني مع
(برام ستوكر Bram stoker)
كاتب الرعب الأشهر في العالم ..
لا يذكر هذا الاسم إلا وتلج
إلى ذهن روايته المحظوظة
(دراكولا) التي كتبها عام
1897 ، إلا أن ستوكر في
الواقع لم يبتكر شخصية الكونت
مصاص الدماء من فراغ ، بل

سبقه (دوما) الفرنسي بتقديم ذات الشخصية في مسرحية من
فصل واحد ، وقد قام ستوكر بمزج لاميا Lamia الإغريقية وليليث
Lilith العبرية ورواية كارميلا التي كتبها (شريدان لوفاتو) (١٩) ،
مع شخصية فلاد الوالاشي التي استقى معلوماته عنها من
جلساته مع جاسوس مجرى اسمه أرمينوس فامبيرى . وهو
الذى خلده في شخصية فان هلسنج عدو دراكولا العتيذ .

كما قلنا من قبل فإن الرعب القوطي هو رعب البرق
والشمعدانات والكائنات غريبى الأطوار الغامضين المتشحين
بالسواد .. هو رعب القصور العتيقة والنفوس المعقدة والكونتيسات

الشاحبات اللاتي يفقدن وعيهن عشر مرات في الساعة .. لغويًا نشأت الكلمة من لفظة Gothic التي تدل على طراز من البناء يميز المباني التي تدور فيها هذه القصص ، وكان أول من اصطك الكلمة (هوراس والبول Walpol) في قصته (قلعة أوترانتو) التي سوف نقرأها يومًا - بإذن الله - في هذه السلسلة باعتبارها أول قصة رعب قوطي على الإطلاق ..

هذا هو الجو الذي سيطر (ستوكر) على أدواته ببراعة .. هنا يجب أن نوضح شيئًا : هناك قصص شديدة الإحكام عن السفر عبر الزمن ، خاصة مع كتابات (أزيمواف) و (برانبوري) وأمثالهما ، كما أن أفلامًا مثل : (العودة للمستقبل) و (المغني) قد قتلت الفكرة قتلًا واستكشفت كل جوانبها ، لكن يظل (ه . ج . ويلز) هو أول من كتب عن آلة الزمن و (هوبسبوق حائز تفضيل) .. نفس الشيء ينطبق على اختراع الهاتف مثلًا .. بالتأكيد لا يستطيع (جراهام بل) مبتكر الهاتف أن يستعمل تلك الأجهزة المعقدة التي نراها مع الشباب اليوم ، لكن يظل هو مخترع أول هاتف .. والشيء ذاته ينطبق على قصص (ستوكر) التي قد نجد لها اليوم على شيء من السذاجة ، لكن من دونها لما جاءت قصص مصاصي الدماء الحديثة ولا ظهرت كاتبة مثل (آن رايس) ..

إبراهيم ستوكر أو برام ستوكر هو كاتب مسرحي بريطاني ولد عام 1845 وتوفي عام 1912 . نشأ في دبلن وتخرج في جامعتها .. قضى عشرة أعوام كمخرج مسرحي ثم اتجه إلى لندن عام 1876 ليشارك في إدارة مسرح ليسيوم ثم تفرغ للكتابة ..

من قصصه الشهيرة (عرين الدودة البيضاء) و (مدفن الفران) و (جوهرة النجوم السبعة) و (ممر الثعبان) و (ضيف دراكيولا) وكلها خلدت اسمه كواحد من أعمدة الرعب القوطي .

لما كانت قصة (دراكيولا) قد ترجمت مرارًا - وكانت ترجماتها موفقة جدًا - فقد تجنبناها ، وقمت من قبل (عرين الدودة البيضاء)^{١٤} ، أما في هذه المرة فأقدم ثلث أشهر قصة له : (جوهرة النجوم السبعة) ، ومن عباءتها خرجت كل مومياء فرعونية ملفوفة بالأريطة في تاريخ السينما .. بدءًا بمومياء (يونيفرسال) التي لعب دورها (كارلوف) ، مرورًا بمومياء شركة (هامر) في فيلم (دماء من تابوت المومياء) المخيف ، وانتهاء بمومياء المؤثرات الخاصة CGI في فيلم (برندان فريزر) الشهير الذي شهدناه مؤخرًا .. وبهذا يكون (ستوكر) هو الذي أدخل مفهوم مصاص الدماء والمومياء معًا إلى عالم الرعب ..

من المهم أن نعرف أن هذه القصة (فكتورية) جدًا مليئة بالحوار

المنمق المرهق لقارئ اليوم ، وقد قمت بتخفيفه على كل حال .
نُشرت عام 1903 بعد (دراكيولا) بستة أعوام ، لكن الناشرين
وجدوا أن نهايتها شنيعة أكثر مما يتحمل القارئ الفكتوري
المتحفظ (مرهف الحس) ؛ لذا أرغموا (ستوكر) على كتابة
نهاية أخرى مبسرة ، ويقال أحياناً إن هذه النهاية الجديدة كتبها
كاتب آخر بعد وفاة (ستوكر) بخمسة أعوام . سوف تجد
النهايتين معاً في نهاية القصة ولك أن تقرر أيهما أفضل ...

و (أحمد خالد)

الفصل 1

استدعاء ليلي

بدا كل شيء حقيقياً حتى أنني استطعت بصعوبة تصديق أنه
حدث من قبل .. وبرغم هذا بدا كل ما يحدث كأنه شيء متوقع .
هذه هي الطريقة التي تلعب بها الذاكرة حيلها سواء للخير
أو للشر .. للسرور أو الألم .. للصلاح أو للويل .. لذا تجد أن
الحياة لها مذاق حلو ومر معاً ، وما حدث في الماضي قد صار
أبدياً ..

من جديد كف القارب الخفيف عن شق المياه الكسول وانزلق
خارجاً من ضوء شمس يوليو الشرسة إلى الظلال التي ألقته
غصون الصفصاف .. أقف أنا في القارب المتأرجح وهي تجلس
صامتة تحمي نفسها بأصابع أنيقة من الأغصان المرتدة ..

ومن جديد بدا الماء خليطاً من البنى والذهبي تحت مظلة من
أخضر شفاف .. بينما بدت الضفتان كالزمرد .. ومن جديد جلسنا
في الظل بينما صخب الطبيعة ينسينا صخب العالم بهوموه
وأفراحه ..

ومن جديد نسيت الفتاة تحفظها ، وراحت تحكي لي بطريقة
حالمة ما تعانیه في حياتها الجديدة من وحدة .. وضعت حكمة

الأعوام التي لدى عند قدميها ، وقد بدا أنه لا دور لي في الأمر إنما أنا أنفذ ما يُملى علي ..

ومن جديد تضاعفت الثواني الضائعة ؛ لأنه في طلاس الأحلام تستزج الموجودات وتجدد ذاتها .. تتغير .. لكنها تحتفظ بكيئونها .. وهكذا تدور الذكريات وتدور أثناء النوم ..

يبدو لي أنه ما من راحة مطلقة في هذا العالم .. حتى سيكون الأحلام في الليل يبدده هدير الانهيارات ، وصوت الفيضان المبالغ ، ورنين الجرس القادم من مكان ما .. مهما كان هذا الصوت فهو يبدد سحر جنتي .. فجأة انفتحت أبواب النوم على مصراعها ، وعرفت أذنني سبب هذه الأصوات المزعجة .. هناك من يدق بلا توقف على باب بيت أحدهم ..

كنت قد اعتدت في مسكني بشارع (جيرمين) على الأصوات العابرة ، ولم أهتم بها كثيراً .. لكن هذه الضوضاء كانت مستمرة عنيدة يصعب تجاهلها .. إنها أصوات يصدرها عقل ذكي وثمة حاجة ملحة وراء هذا العقل الذكي .. لهذا غادرت الفراش ..

نظرت لساعتي بشكل غريزي .. إنها الثالثة صباحاً .. كان من الواضح أن هذا الضرب على باب بيتي أنا .. ومن الواضح كذلك أنه ما من أحد مستفيق ليرد .. ارتديت الروب والخفين ونزلت إلى الباب ..

فتحت الباب فوجدت سائماً أتيقاً لا يكف عن دق الجرس الكهربى ، بينما يواصل ضرب الباب بالأخرى .. ما إن رأيته حتى توقفت الجلبة ، ولمست يده حافة قبضته بحركة لا شعورية ، وباليدي الأخرى ناولتي رسالة أخرجها من جيبه ، وكانت عربية أتيقة تقف أمام الباب .. وثمة رجل شرطة يسلط مصباحه على الباب وقد شدت الضوضاء انتباهه ..

- « آسف يا سيدى على الإزعاج .. لكن أوامري كانت تقضى بأن أدق الجرس إلى أن يرد أحد .. هل مستر (مالكولم روس) يعيش هنا ؟ »

- « أنا (مالكولم روس) »

- « إذن هذا الخطاب لك يا سيدى »

تناولت الخطاب منه في فضول .. بما أنني محام لدى المحاكم العليا فقد كانت لي خبرات غريبة من حين لآخر ، لكن هذه كانت أغربها .. وارتبت الباب ودخلت إلى الصالة لأفحص الخطاب في الضوء الكهربى بالداخل .. كان بخط امرأة وقد بدأت على الفور تكلمنى دون أية صيغة مخاطبة :

« قلت إنك ستساعدنى لو أنني أردت ذلك ، وأعتقد أنك كنت جاداً فيما قلت .. أنا الآن فى ورطة مخيفة ولا أعرف ممن أطلب العون .. هناك من حاول قتل أبى لكنه ما زال حياً والحمد لله ..

« تعال فوراً لو كان هذا بوسعتك واغفر لى .. »

« مارجريت تريلونى ،

إذن هى استعانت بى أنا .. أنا !... عندما حلمت بها لم يكن هذا مجرد حلم بسيط ..

قلت للسائس :

« انتظر !.. سألقى بك .. »

خلال دقائق كنت قد اغتسلت وارتديت ثيابى وسرعان ما كانت الخيول تحملنا عبر الطرقات .. وسألت السائس ونحن فى الطريق عن سبب استدعاء السيدة لى ، فقال :

« لا أعرف يا سيدى .. فقط هم وجدوا السيد فى حجرته فاقد الرشد والملاءات غارقة فى الدم ، وثمة جرح فى رأسه .. مس (تريلونى) هى من وجده . »

أوقفت العربى ليخرج ويجلس جوار الحوضى ورحلت أقلب القصة فى ذهنى .. هناك الكثير مما أريد معرفته ، لكن من اللباقة أن أعرف كل شيء من مس (تريلونى) لا من خدمها ..

وصلنا إلى طريق قصر (كنزنجتون) فتوقفت العربى أمام بيت عظيم على يسار الطريق ، وحتى فى ضوء الفجر الشاحب أدرت فخامته .

قابلتني مس (تريلونى) ولم تكن على ما عهدته فيها من خجل .. بدت تسيطر على كل ما حولها بشكل راق .. ورغم هذا كانت شاحبة كالثلج . كان الخدم جميعاً هناك ورجال شرطة ..

صافحتنى وعلى وجهها ابتسامة تعكس الارتياح ، وقالت :

« عرفت أنك ستأتى »

وشعرت بأن يدها تذوب فى يدي .. كان هذا استسلاماً لاشعورياً لى .. ورغم أننى لم أفهم سبب ما شعرت به من شعيرية فقد عرفته فيما بعد ..

كانت على وشك تقديمى لمفتش الشرطة ، لكنه قال :

« نحن متعارفان يا أنسة .. لا أعرف إن كان مستر (روس) يذكرنى لكن كان لى شرف العمل معه فى قضية (بركستون كويننج) .. »

« بالطبع أذكر أيها المفتش .. وددت لو سمحت لى بالانفراد بمس (تريلونى) بعض الوقت ، فأتأعتقد أنكم سمعتم ما عندها بالفعل . »

ومشيت معها إلى حجرة تطل على الحديقة فأغلقت الباب خلفى ، وسألتها :

« قولى لى كل ما تعرفين مهما كان تافهاً .. »

قالت :

« استيقظت على صوت لا أعرف كنهه .. فجأة وجدت نفسى يقظة وقلبى يدق بعنف .. غرفتى تقع جوار غرفة أبى ، وقد اعتدت سماع حركته فى غرفته لأنه يصل لساعات متأخرة

جداً .. جريت مرة أن أنصحه بعدم السهر ولم أكررها .. عندما يتكلم أبى ببرود وأدب يصير مخيفاً .. أستطيع تحمله أفضل عندما يغضب ويثور .. ذهبت لباب غرفته فلم أسمع أى ضجة .. لكنى سمعت صوت جرّ غريب .. وقفت هناك فى الظلام خائفة .. خائفة من ماذا ؟ .. لا أدري !

« فتحت الباب قليلاً فوجدت الظلام داساً لكنى سمعت صوت التنفس الثقيل .. دخلت الغرفة وأضأت النور .. كان الفراش خالياً لكن الملاءات مبعثرة بما يدل على أن أبى كان قد دخل الفراش .. كانت فى وسط السرير بقعة حمراء كبيرة .. وجدت أبى على جانبه الأيمن وذراعه الأخرى تحته كان جسده قد ألقي هناك فى كومة .. وكانت بركة دم من حوله .. دم أحمر لامع مخيف .. كان رائداً جوار الخزائن الكبيرة بمنامته .. الكم الأيسر ممزق ليكشف عن ذراعه .. واللحم ممزق حول سوار ذهبى حول معصمه .. لم أعرف قط أنه يلبس هذه الأشياء ..

« لم أضيع لحظة فى طلب العون لأنى خفت أن ينزف حتى الموت .. رفعا أبى إلى الأريكة وراحت مدبرة المنزل مسز (جرائت) - التى احتفظت بثباتها - تفتش عن مصدر الدم .. بدا واضحاً أن مصدره هى الذراع .. كان هناك جرح . جرح غير منتظم كالذى تحدثه السكين ولكنه شق .. لهذا ربطت مسز (جرائت) الجرح بمنديل وعقدته بعناية فتوقف النزف ..

« طلبت الطبيب والشرطة ، وشعرت بهأتنى وحيدة ولا أعرف أحداً ، ففكرت فيك .. تذكرت عرضك الكريم لى فى ذلك القارب تحت أشجار الصفصاف ؛ لذا أرسلت لك السائس فوراً .. » نظرت لها ولم أرد أن أصارحها بما أشعر به ، لكنها فهمت .. فقد التقت عيناها بعينى ثم اتحدرتا واحمر خذاها ..

عندما خرجنا إلى رجال الشرطة ، قال لى المفتش :
- « لقد طلبنا مفتشاً من (سكوتلاند يارد) .. الرقيب (دو) .. أنت تذكره يا سيدى من قضية التسمم فى (هوكستون) »
- « أذكره جيداً .. ولكم أطريت ذكاءه .. إن له عقلاً يعمل ببراعة .. »

دق جرس الباب وبعد دقيقة ظهر رجل فى القاعة .. كان شاباً له ملامح النسر وله جبين عريض يدل على عمق التفكير .. قدمته لنا مس (تريلوينى) :

- « د. (ونشستر) .. مسز (روس) .. المفتش (دولان) .. »
اتحدثنا لبعض وسرعان ما بدأ عمله .. راح يضمم الجرح بعناية ، ثم سأل الأنسة :

- « هل يمكن أن نزيل هذا السوار ؟ »
احمر وجهها ، وقالت فى خجل :

- « لا أرى .. لقد جئت مؤخرًا فقط لأعيش مع أبي ، ولا أعرف إن كان هذا بضايقه أم لا .. »

قال الطبيب :

- « ليكن .. فلنتركه ، لكن لربما نحتاجنا إلى إزالته فيما بعد .. ربما هو ذو أهمية معينة ما دام يتلقى منه هذا المفتاح الصغير .. »

وتناول من جيبه عدسة مكبرة وراح يتفحص السوار ثم ناوله لـ (دولان) .. وقال :

- « تفحصه بنفسك .. هذا ليس سوارًا عاديًا .. الذهب وضع لي زخرف ثلاث حلقات من الصلب .. واضح أن هذا السوار ليس للخلع بسهولة .. »

انحنى المفتش ليجلس على ركبتيه ويفحص السوار بعناية ، ودون بعض الأشياء في فكرته .. وأشارت للفتاة كي تتفحصه ، فتراجعت قائلة :

- « لا .. لو كان أبي يرغب في أن أراه لعرضه على نفسه .. »

وكان الخجل والضيق واضحًا عليها لأنها لا تعرف أي شيء عن أبيها ، وإن قدرت أنها مسرورة لأنه ما من عين لنثى - أو لية عين أكثر ملاحظة وذكاء من عيون الرجال - تراها في هذه اللحظة .

هنا دق الباب من جديد ..

الفصل 2

تعليمات غريبة

اتجه المفتش (نولان) للباب ليفتحه ، وكان بطريقة طبيعية قد تولى مسئولية كل شيء هنا .. افتتح الباب فدخل شاب حليق الذقن طويل القامة له عينان سريعتا الحركة ، صافحه المفتش بحرارة . كان هذا هو الرقيب (دو) رجل سكوتلانديارد الذي استدعوه .. والذي راح يصغى لتفاصيل القصة بانتباه ..

ثم إنه طلب من الطبيب أن يكتب تفاصيل ما رآه بدقة ، وبحيث يستطيع أن يسلم التقرير لرؤسائه ..

قال الطبيب :

- « لا يوجد ما يمنع من أن أكتب التقرير الآن .. فقط هناك نقاط لابد من أن تلاحظها .. لا توجد جروح بالرأس تبرر غياب المريض عن وعيه .. على أن أفترض أنه تحت تأثير مخدر ما .. هذا الاحتمال مستبعد لأنني لا أجد علامات المخدرات - على الأقل التي أعرفها - وهذا على كل حال عسير لأن رائحة الموميאות تملأ المكان .. عطور مصرية وقار وناردين وصمغ وطيب .. ربما كانت رائحة الشيء الذي سبب هذا موجودة ضمن هذه العطور .. »

قال المفتش :

- « على الأقل كان بوسعنا أن نجد الأداة التي سببت جرح المعصم .. »

فكرت أنا في أن يكون الأب قد جرح نفسه وهو تحت تأثير العقار .. ولربما أخفى السلاح في الخزانة قبل أن يفقد وعيه ..

قال المفتش :

- « هذا مستحيل أو على الأقل عسير .. إن الدم يلوث ذراعه تمامًا ، بينما لا توجد قطرة دم واحدة على الخزانة .. »

قال الطبيب :

- « أرى أنه لا بد من معرضة تغني به ، وأنا أعرف واحدة مناسبة ، لكنني أقترح أن تبقىوا معه إلى أن أحضرها .. عليك يا مس (تريلوني) أو مسز (جرائت) بالبقاء هنا جواره إلى أن أعود .. »

سأل الرقيب (دو) المفتش قبل انصرافه عائدًا لقسم الشرطة :

- « هل (جونى رايت) في قسمك ؟ »

- « نعم .. هل ترغب في أن يكون معك ؟ »

هز (دو) رأسه أن نعم ، فقال هذا :

- « سأطلب منه أن يلحق بك فوراً وأن يتلقى التعليمات منك .. »

طلب المفتش من مس (تريلوني) أن تسمح له بتفتيش مكتب أبيها لعل فيه شيئاً مهماً ، ولدهشته وافقت على الفور .. راح يبحث هنا وهناك ثم أخرج خطاباً ، وقال لها :

- « هذا خطاب لك ! »

قالت في لهفة :

- « خطاب لى وأبى يحتفظ به ! »

وفتحته .. رحت أرقب وجهها وهي تقرأ .. كنت أرقب وجه المفتش في الوقت ذاته .. عندما انتهت من القراءة كنت أحمل شكاً قوياً أبقيته في قلبي ، ومن ضمن شكوك المفتش كان ذلك الشك نفسه .. الشك في مس (تريلوني) ذاتها ..

لدقائق أبقت عينيها منخفضتين والخطاب في يدها وهي تفكر بعنى .. ثم ناولت الخطاب للمفتش بشيء من عدم الرضا ..

فراه مرتين دون أن يتبدل شيء في وجهه ثم أعاده لها .. هنا ناولتني الخطاب ومسحة من حمرة الخجل على وجهها ..

تناولت الخطاب شاعراً بسرور لهذه الثقة .. وبدأت أقرأ :

« ابنتى العزيزة :

« أريد أن تعبري هذا الخطاب تعليمات مطلقة لا تناقش ، فى حالة ما حدث شيء غير متوقع لى .. لو لم أكن فى غرفة نومى لحظة اطلاعك على هذا الخطاب ، فعليك أن تنقلينى هناك فوراً .. حتى لو كنت جثة هامة فعليك أن تنقلينى هناك ..

« من هذه اللحظة ، وحتى أستعيد وعيى وأعود لإصدار تعليماتى ، أو حتى أدفن ، فعليك ألا تتركينى وحدى لحظة واحدة .. منذ الغروب حتى الشروق يجب أن يكون هناك شخصان على الأقل فى الغرفة معى .. ويجب أن تكون هناك ممرضة مدربة تلاحظ حالتى بدقة ..

« إن محامىي (مارفين وجوكس) لديهما تعليمات واضحة فى حالة موتى .. لكنى أوصيك بالبنى - بما أنه لا تقارب لنا - بأن تجدى صديقاً مخلصاً يقيم فى الدار .. قد يكون هذا الصديق ذكراً أو أنثى ، لكن لابد أن يكون معه مراقب آخر من الجنس المختلف ..

« لو كنت قد جرحت أو مرضت يا (مارجرىيت) فلن تكون هذه حادثة عارضة .. لا يجب نقل شيء من غرفتى وأنا هنا أتحدث عن التحف .. لابد من ترك كل شيء حيث هو .

« لو احتجت إلى شيء أو مال فإن مستر (مارفين) سينفذ كل شيء ..

« أبيل تريلونى »

ارتجف قلبنى لدى قراءة هذه السطور .. صديق !...! يمكننى أن أكون هو .. ألم تطلب عونى وقت الضيق برغم أننى غريب بالنسبة لها تقريباً ؟ .. مجرد لقاء فى حفل راقص ومحادثة قصيرة فى قارب ..

لهذا ناولتها الخطاب ، وقلت :

- « أرجو أن تغفرى لى .. لكنى أرغب بالفعل فى أن أقوم بهذه المهمة معك .. »

احمر وجهها ، وقلت :

- « وهذا سيسرنى بالتأكيد ، لكنى لا أرغب فى أن أكون أنثية .. أعرف أنك مشغول .. »

- « سوف أعرف كيف أدير شئون عملى بحيث أفضى الليل هنا »

هنا قال الرقيب (دو) إنه راض عن كونى سأتولى الأمر ، وطلب أن أبقى هنا إلى أن يتوجه إلى سكوتلانديارد لأنه سيبحث عن شركة الخزائن كى تساعد فى فتح خزانة الأب التى تغلق بمفتاح وأرقام سرية ..

جلست وحدى مع مس (تريلونى) .. بادلتنى نظرة شعرت بعدها بأننى أفضل جلستى هذه على أن أكون ملكاً ..

كانت الغرفة عريضة فعلا . هي حجرة نوم مريحة مرتبة بعناية لكنها مليئة بتلك التحف المصرية القديمة . كانت الغرفة هائلة الحجم لذا اتسعت للكثير من هذه الأشياء ..

دوى جرس الباب ، وبعد قليل دخل علينا د (ونشستر)
ومعه امرأة شابة في ثياب الممرضات . وقال لنا .

- « كان الحظ حليفي فقد وجدتها على الفور . مس (تريلونى)
ها هي ذى مس (كندى) .. »

الفصل 3

المراقبون

أثارت دهشتى الطريقة التى تسلكت بها الثمانيان النظرات .
ويبدو أن مهنتى عنمتنى أن أدقق النظر فى انفعالات وتعبيرات
وجوه الآخرين . كانت الفتات متناقضتين تماما . كانت مس
(تريلونى) رشيقة سمراء ذات عيين رانعتين شديدتى الاتساع
ناعمتين كمخمل أسود . النظر ففهم شبيه بالنظر فى مراة
سوداء . مزيج من الضعف والقوة النابعة من الروح فقط

على النقيض كانت الممرضة (كندى) ممتنبة قليلا قوية
البنية لها يدا كيرتان قادرتان . لونها يشبه لون أوراق
الخريف . تنمى عيناها السيتان الذهبيتان وسط جلد ملهى
بشمش . جبهتها مليئة بسعقر واحكمة

عند العصر اتصلت بمسكنى فى شارع (حرمين) كى يرسنوا
لى ثيابى وكتبى وأوراقى . ذهبت للمحكمة وعدت لبيت
(كزنجتون) فى السادسة مساء فوجدتهم اختاروا لى غرفة
كبيرة جوار غرفة المريض ..

لم ترتب أمور المراقبة لتلك الليلة . آوت الممرضة للفراش
لأنها كانت تعمل طيلة اليوم على أن تعود لنا عند منتصف

الليل .. د (ونشستر) ظل معنا حتى الضياء لأنه سيتناولنا هنا . وظلت مسر (جرات) فى الحجرة مع الرقيب (دو) .

سأل الطبيب مس (تريلونى) عندما دخلنا غرفة أمها :

- « هل ليكم أية حيوانات ذات مخالب فى هذا المنزل ؟ » . حيوان يمكن أن يكون قد أحدث هذه الحروح فى ساعد أبيك ؟ »

ابتسمت ابتسامة حزينة ، وقالت :

- « لا . أبى لم يكن يحب أى نوع من الحيوانات . حتى قطى الوديع حسن التربية ممنوع من دخول هذه الغرفة »

هنا سمعت صوت خدش على مقبض الباب ، فلمعت عيناها واتجهت لتفتح الباب ، قائلة :

- « هذا هو (سيلفيو) العزيز . قطى .. إنه يقف على قائمته الخلفيتين . ويخدش المقبض متى أراد الدخول »

وحملت القطة وعادت به لنا . كان حيواناً رائعاً بحق . قط فارسى (شانشيلا) رمادى يبدو أنه كريم المحند . وله مخالب عظيمة ..

فجأة انتابه الذعر فاطلق مواء مفاجئ ووثب إلى الأرض . وركض إلى منضدة منخفضة فى ركن الغرفة ، عليها وضعت مومياء حيوان .. وبدأ يزمجر ..

عادت لتحمله فحاول المقاومة لكن من دون عض أو خمش فقد بدا واضحاً أنه يحبها ..

- « أيها الشقى ! لقد حنثت بعهدك مع أمى .. قل مساء الخير للملادة وأخرج من غرفة أمى ! »

ومدت كف القط لى كأنما لأصابعها . هنا لاحظت أن فى كفه سبعة أصابع . برغم أنه كان هادئاً يقر فقد غرس مخالبها فى كفى .. فصحت :

- « ياه ! .. إنها كال موسى ! »

دنا د (ونشستر) منا ، وقال وهو يفحص مخالب القط :

- « لوه !! »

وكنيت أسمع أنفاسه المتسارعة . اتجه للمكتب فمزق قطعة من الورق الشفاف ووضعها تحت كف القط وضغط . تملص القطة وأخرج مخالبه ، وكان هذا هو ما يريده الطبيب لأن المخالب مزقت ورقة الشفاف ..

مد الطبيب يده وفك الضمادة عن ساعد الأب .. هناك كانت الجروح واضحة حمراء . قرب ورقة الشفاف منها .. وابتسم فى انتصار . كانت الآثار واحدة على الساعد وورقة الشفاف ! .. لم يعد أحد بحاجة لمزيد من التفسير ..

سيد الصمت الذي قطعته مس (تريلوني) قلعة .

- « لكن (سينفيو) لم يكن هنا أمس ! »

- « هل أنت متأكدة ؟ »

- « متأكدة لكن أخشى أن إثبات هذا صعب . انه يناد في سلة في حجرتي . وانا متأكدة من أنني وضعت في السلة ووضعت بطانيته عليه . في الصباح كان في الوضع ذاته . دعك من باب حجرتي كن موصدا عندما غادرتها أمس وكذا باب حجرة أبي . عندما فتحت الباب كانت الاصابات قد تمت . »

قال الطبيب بعد تفكير :

- « الحكم بعد المداولة : مسر (سينفيو) بريء . ونحن نعتذر له .. »

ثم قرر تغيير الموضوع . فقال :

- « راينا يومئذ عند ران مومياء هذا الحيوان . هل يتوتر مع كل الموميאות التي يدح بها المنزل ؟ »

- « لا . وربما كان سبب ان هذه مومياء قط . »

قال الطبيب في اهتمام :

- « هذه مومياء معتنى بها . وإنني لأرغب في أن تسمح لي باستعمال مسر (سينفيو) في تجربة . لكنه لن يكون المعتدى عليه ، بل سيكون المعتدى .. »

- « لا أفهم .. »

- « أريد أن أعرف ما سيقوم به نحو هذه المومياء لو سمح له بذلك . سوف نقوم بعملية استبدال لهذه المومياء . من ثم نعرف هل (سينفيو) يكره كل موميאות القطة أم هذه بالذات .. »

هنا جاءت الممرضة إلى الحجرة . سيدة قوية الشخصية مهيمنة . ساعدني دخولها في السيطرة على الهواجس التي غمرتني في جو الغرفة المثير للتوجس .

كنت قد بدأت استشعر نوعا من المخاوف يحوم حول المريض . حتى صار جزءا منها . لكن دخول هذه السيدة اعاد له حجمه الطبيعي كمريض تعفى به . وسرعان ما فقدت الغرفة ما تبعته في من رعب ..

لكن الشيء الوحيد الذي احتفظ برعبه كان رائحة المومياء . لو أنك وضعت مومياء فرعونية في إباء زجاجي لا يدخله الهواء فن رائحتها ستظل تتركك أنفك . برغم أنه يفترض ان أربعة آلاف سنة كفيئة بأن تزيل رائحة أي شيء . تلك الروائح خائفة و سرارها محبونة لنا بأكمل . لقد أهدت خيالي وأتعت أعصابي بحق ..

قررت أن أفعل شيئاً ؛ لذا غادرت المنزل وقصدت صيدلية قريبة لأبتاع جهاز استنشاق مما يستعمله مرضى الربو .

كان الطبيب قد انصرف ورتبت مس (تريلوني) أن يتواجد دوماً رجل وامرأة في حجرة المريض .. لذا جلست على أريكة في حجرتي وطلبت من أحد الخدم أن يناليني قبل منتصف الليل . وسرعان ما غبت في النوم ..

عندما صحت احتجت لبعض الوقت كي أعرف أين أنا . لقد أفادني النوم لبعض الوقت اتجهت لغرفة المريض فوجدت الممرضة جالسة على الفراش هادئة متيقظة ، وعبر الغرفة يجلس المفترش في الظل .. لم يتحرك إلا عندما دوت منه ، فقال في همس متعجب :

« كله تمام .. لم أتم .. »

وهو شيء لا لزوم له ما لم يكن يشعر بأنه غير حقيقي . أخبرته أن يوسعه أن يحل للنوم حتى أوقظه في السادسة صباحاً

اتجه للباب ثم مال بهمس لي :

« إن نومي خفيف وأحتفظ بالمسدس معي . لن أشعر بهذا الخمول إذا ابتعدت عن راحة الموميء هذه »

إذن هو كذلك جرب تأثير تلك الراحة الذي يسبب الخمول

لاحظت أن الممرضة تضع في حجرها جرة عطر صغيرة مثقبة .. لا بد أنها شعرت ببعض ما شعرت به .. اتجهت لذات المقعد في الطل حيث ظهرها لي ، وذلك كي لا تلاحظ جهاز الاستنشاق الذي أحمله .. وقد قمت بتثبيتته على أنفي واتخذت وضعا مريحاً ..

مر وقت طويل على وأنا أفكر أفكر في الراحة الفرعونية .. حقاً لا أرى إن كنت نعمت لم لا نغنى لمحت شيئاً ولعلني لم أفعل ..

ظهر للممرضة لي وهي هادئة ساكنة . كل شيء هادئ ساكن .. كأن المشهد لا ينتمي لعالم الواقع .. الضوء خافت جداً . فقط غطاء الأباجورة الأخضر له لون ياقوتة تتلألأ في ضوء القمر ..

خيل لي أن هناك صوتاً خافياً كمواء قط صوت معدني كمدن بضرب معدنا ..

فجأة عدت لحواسي ..

لقد دوت صرخة في مسمعي وغمر الضوء الحجرة ..

صوت طلقات مسدس واحدة .. اثنتان . ودخان أبيض يملأ الغرفة ..

عندما استعنت للرؤية كنت أصرخ لنا نفسي من هول ما رأيت .

الفصل 4

المحاولة الثانية

كان المشهد الذى رأيته مفزعاً كأنه حلم داخل حلم . كانت الغرفة كما كانت إلا أن الظلال اختفت وسط عديد من الأضواء . جوار الفراش الفارغ تجلس الممرضة كما رأيته آخر مرة . وتلك الوسادة خلف ظهرها لتبقيه مستقيماً لكن عبقها متصلب كأنها فى نوبة صرعية .. لم يكن هناك تعبير على وجهها .. لا رعب . لا شيء . كانت مجرد وحود مسلبي يتنفس لكنها لا تعنى شيئاً من العالم حولها ..

كانت الملاءات مبعثرة كان جسد النائم قد جرد من فوقها . وعلى الأرض بعض الضمادات التى ضمد بها الطبيب الذراع . كلها موجودة فى ذات الموضع الذى وجدناه أمس جوار الخزانة .. لكن هناك شيئاً مخيفاً جديداً ..

ثمة محاولة لقطع الذراع عند المعصم لأخذ ذلك السوار هناك سكين (كوكري) من ذلك الطراز الذى يحارب به رجال القبائل (الحوركس) فى جبال الهند . لابد أنها انتزعت حيث كانت معلقة على الجدار . لكن عملية القطع توقفت فلم يتمزق الذراع لكن اللحم تمزق . وكان الدم ينزف بغزارة ..

جوار الأب كانت مس (تريلونى) تجثو وقد غرقت ثيابها فى الدم .. ووسط الغرفة كان الرقيب (دو) يعيد حشو مسدسه . كانت عيناه حمراوين ثقيلتين ، وبدا شبه واع لم يدور حوله ..

وفى كل مكان كان الخدم يحملون الأصواء

ما إن دنوت من مس (تريلونى) حتى صرخت ووقفت تشير لى . الآن أفهم أنى بدوت مرعباً بجهاز التنفس على وجهى وشعري منتثر وفى هذه الإضاءة ..

تنبهنا حيراً فوجدنا مهمت الأولى هى أن نوقف الدم المتدفق من ذراع الأب .. وبرغم خطورة الأمر فقد سررنى لأنه دللى على أن الرجل حى ..

ثم يمر درس أمس دون جدوى ، وسرعان ما كنا نلف رباطاً ضاغطاً حول ذراع الرجل بينما هرع خادم ليحضر الطبيب .. فلما اطمأنا إلى حال الرجل أولينا انتباهاً للممرضة ..

كانت مسز (جرانت) قد أخذت سبيلتها لتبدل ثيابها وتغسل يديها . وحينما علت لى مس (تريلونى) كانت أهدأ .. لكنها وجهت لى الكلام على الفور :

« كنت نائماً بينم أبى فى خطر ! حسبتك ساهراً تراقب .. »

شعرت فى لومها عدالة تؤلم ..

قلت لها :

- « هناك شيء ما أكثر من مجرد النعاس في هذه الحجرة ..
ولربما لو لم أأخذ الحيلة نصرت مثل الممرضة هنا .. »

نظرت إلى الممرضة ، ثم قالت :

- « سامحني .. إنه الخوف والتوتر فلم أقصد أن أكون قظة ..
إنني خائفة مما قد يحدث في كل لحظة .. »

- « لا تعتذري . أنا كنت مكثفا بالحراسة وبعت . لا شك في
هذا .. لكن أقول بوضوح إنني لم أتعمد ذلك وقاومته .. ربما
نفهم السبب فيما بعد . ولكن أود لو فهمت ما مر بك »

قالت :

- « نفس الشيء تقريبا .. صحوت من نومي شاعرة أن أبي في
خطر .. جريت إلى حجرته وكنت مظلمة . ثم استطعت أن أراه على
الأرض جوار الخزانة .. لابد أنني فقدت صوابي للحظات . »

هنا نظرت إلى الرقيب الذي كان يعبث في مسدسه بذهن مشتبك :

- « وأنت أيها الرقيب .. ما الذي أظنقت الرصاص عليه ؟ »

نظر حوله ، ثم قال :

- « ألا ترى أنه من الأفضل أن ينصرف الخدم لعلهم ؟ سيكون

هذا أفضل للكلام .. »

أشرت للخدم كي ينصرفوا فلما رحل آخرهم واصل الرقيب
الكلام :

- « دخلت للثوم والمسدس تحت وسائتي واعتقد أنني صحوت
على صرخة . كان رأسي مثقلا بفعل الإرهاق . هرعت للحجرة
فكانت مظلمة ما عدا الضوء القادم من الخارج عبر النافذة
كانت مس (تريلوني) على الأرض حوار أبيها وهي تصرخ
ها بين المنام واليقظة حين لي أن شيئا يتحرك بيني والنافذة ..
ومن دون تفكير أضقت الرصاص مرتين على الشيء »
- « وما هو هذا الشيء ؟ »

كنت أشعر بالثقة في الموقف كأنني أستجوب شهود المحكمة .

- « لا أعرف شعرت بوجود شيء لكن ليست عندي أدنى
فكرة عن كنهه .. »

رحت أبحث عن الرصاصتين في الغرفة في اتحاه الإطلاق .
واحدة منهما هشمت زجاج خزانة فيها بعض تلك التحف الغريبة .
ومن الزجاج المهشم أتبعث تلك الرائحة العطرية كالقوى ما يكون .
هذا هو مصدرها إذن . لاحظت أن التحف متراسة في شكل
دائري حول تمثال يمثل إلهة رأس صقر . لكن الظروف لم
تسمح لي بالتدقيق أكثر ..

أزحت الستائر فأنشأ دهمشنى أن ضوء الفجر أضاءت تسلسل ليغمر الغرفة . من الصعب أن أصف كم بدت الحجرة محيطة في هذا الضوء الشاحب الرمادى . إن نفثة شمالية نذا لم يدخل إلا شون الرمادى دون لمسة النور . نوردى القى لا تراها إلا تحده الشرق . لا شيء من نعومة النيل ولا من نصارة النهار

جاء الطبيب ولم يسأل عن شيء إذ رأى وحوها . انكب على الجرح وقد ارتسمت علامات الخطورة على وجهه . لم يتكلم إلا بعد ما تم تضميد الجرح .. صال :

« ماذا عن الممرضة (كندى) ؟ »

« لا أرى .. وجدتها على هذا الموضع فى ثلثية صباح عندما دحنت الغرفة . ومنذ ذلك الحين لم تحركها . حتى طقت مسدس الرقيب لم توقظها .. »

فكر قليلاً ، ثم قال :

« أرى أن تنقل الممرضة لغرفة أخرى .. »

أصدرت مس (ترينونى) تعليماتها بممرز (جرانت) كى تعد غرفة مناسبة وتستدعى رجلين يحملان الممرضة .

عاد الطبيب بعد فحص المريضة ليقول أنه يرى أن هذه الغيبوبة شبيهة بغيبوبة الأب . لكن الممرضة تتحسّن

واستجابتها تزداد . وقد قل تخشب عضلاتها . ومن المرجح أن تنفى .

« وكيف .. » - سألته - « لا نجد تخشياً لدى المستر (تريلونى) ؟ »

« لا أعرف السبب . إن الحانة محيرة وسوف نحتاج إلى أيام حتى نفهم ما حدث فعلاً .. »
كان يوماً طويلاً مرهقاً ..

لكن حانة مس (كندى) تتحسن باستمرار . وقد بدت أقرب لنوم منها إلى الغيبوبة . وقد جاء الطبيب بممرضتين واحدة لعنى بمس (كندى) والأخرى لتعنى بمستر (تريلونى) .

رتبنا نظم محكمة للنهار . بحيث يكون هناك من يراقب المراقبين ، وهكذا لا يتسلل النعاس إلى أحدهم من دون علم الآخرين . طنب د . (ونشستر) أن يبتاع جهاز استنشاق كالذى استعملته أمم وكذا مس (جرانت) ..

وحاء النيل .. حاء ونحن فى غاية التوتر والتوجس .

الفصل 5

تعليمات أكثر غرابة

في الحادية عشرة والنصف خرجت من غرفتي لأجد كل شيء على ما يرام في غرفة المريض . المعرصة تجلس جوار الفراش والطبيب على الأريكة متبها . وإن بدا مضحكا بجهز الاستنشاق على وجهه . فلم راسي نهض ، وقال إنه سيعود في الصباح

جاء الرقيب ليأخذ المقعد الذي كان يحتله الطبيب . وظننت مهمتي أنا أن ألقى نظرة على الغرفة من حين لآخر في الثانية عشرة جاءت مس (تريلوني) وجهار الاستنشاق في يدها لتسلم مهمة المراقبة وكذا فعلت أنا بينما نهض الرقيب والمعرصة

لم يغلبني النعاس قط ، وكذا ظننت مس (تريلوني) متيقظة

دقت الساعة معلنة الثانية صباحا . هب ذهني شعور غريب استطعت أن أرى من حركة مس (تريلوني) أنها تشعر بشيء غريب بدورها .. بدأ قلبي يدق بعنف . وشعرت بحوف كال هناك من دخل الغرفة معنا ، وكان هناك نكاء ما يقربى

ثمة شيء يحدث ساقى منبت يدي لأصطدم بفراء (سيفيو) أطلق فحيحا وحش يدي .. شعرت بالدم يسيل عن يدي فنهضت مس (تريلوني) ايض نهضت .. كان صدرها يعطو ويهبط

في الفعل . وحينما لمست يدي لم يبد أنها لاحظتني . كانت يداها ممكنتين أمامها كأنما تدفع خطرا ..

لم يكن هناك وقت أضيعه . أخذتها تحت ذراعي وركضت إلى الردهة صارخا :

« النجدة ! »

عل الفور ظهر المخبران والخدم ومسز (جرانت) . وضعت مس (تريلوني) بين ذراعي هذه الأخيرة وعدت للغرفة أضأت انوار الكهرسى وكان هذا هو الوقت المناسب ، فجوار الخزائن حيث وحنده في اللتين السابقتين كان مسز (تريلوني) وذراعه المضمدة مكشوفة ..

جواره كانت مدية فرعونية تشبه ورقة الشجر .. وكانت مغروسة في الأرض حيث كتلت السجدة المنوثة بالدماء فيما سبق .

فتحت أنا والرقيب (دو) العرصة فلم نجد ما يريب ، بينما تعاون الخدم على إعادة المريض إلى الفراش . عادت مس (تريلوني) لتهمس لي :

« شعرت بأننى على وشك فقدان الوعي . لا أعرف السبب لكنى كنت مذعورة .. »

ثم نظرت ليدي ، وهتفت :

« لكنك جريح ! »

حقاً كنت قد نسيت الخدش الذي أحدثته القط في يدي .
وسمعتها تقول :

« لكنها ذات الجروح التي في ذراع أبي ! »

ثم نظرت إلى أبيها وعقدت جبينها ، وقالت :

« ألا ترى أن نطلب (كونسلنو) ؟ د (ونشستر) بارع ذكي
لكنه حديث السن ، ومن الواضح أن حالة أبي تحيره . ربما
كان هناك أناس قد درسوا الموضوع بشكل أعمق . »

هنا وصل د . (ونشستر) . وسألني عما حدث بالضبط
فحكيت له كل تفصيل . هنا التفت إلى من (تريلوس) . وقال :

« أرى أن نطلب مشورة أطباء آخرين .. »

كان هذا ما ترغب فيه ؛ لذا وافقت على الفور مماثار دهشته
ثم سألته :

« هل تقترح اسمًا معينًا ؟ من أكفأ طبيب في لندن لهذه
المهمة ؟ »

« ليس في لندن بالضرورة .. إن طبيب المخ يولد طبيب
مخ ولا يمكن أن تصنعه .. بعد هذا يحسن موهبته بالدراسة ..
أفضل طبيب أعرفه حاليًا هو (شيوني) الياباني لكنه جراح .

هناك (تسامرغست) و(فلو) من باريس لكني أفضل طبيبًا
اسمه (فريز) من (كنجز كولدج) هو من أفضل من عرفت
وأقدرهم على مزج النظرية بالعمل . ومن المؤسف أنه سيفقد
براعته مع تقدمه في العمر .. »

« بن عنيث به في الصباح . هل هو (سيد) أم (دكتور) ؟ »

« لندعه سير (جيمس فريز) سوف أذهب له بنفسى
صباحًا .. »

ثم نظر ليدى ، وقال :

« ربما كان على أن أضمد يدك إن جروح الحيوان قد
تكون خطيرة .. »

وراح يتفحص يدي بعناية مكبرة ويقارنها بقطعة الشاف التي
تحمل مخالف (سيلفيو) ..

في العاشرة صباحًا استعادت الممرضة (كنيدى) قواها وصار
يوسعها أن تجلس وتتكلم . لكن ذاكرتها ظلت مختلطة بصد ما
حدث البارحة ..

في الحادية عشرة جاء سير (جيمس فريز) . كان رجلًا
يجلب الاحترام والانتباه ..

كنت عينه الخارقتان وقمه الملىء بالتصميم وحاجباه العظيمان
أشياء تفرض الطاعة على الفور ..

دخل حجرة المريض فقصى وقتاً طويلاً هناك . ثم فحص
الممرضة (كندى) .. بعد هذا انفرد بالطبيب فى غرفة المكتب
وتعالى صوت الرجلين فى مناقشة حامية

بعد قليل خرجا . وجه سير (جيمس) لا يدل على شيء كأنه
وجه أبى الهول يتبعه د (ونشستر) صاحب النوحه

كان سير (جيمس) موافقاً على أسلوب د (ونشستر) فى
العلاج ، لكنه طلب بإحاح أن ينقل المريض من الحجرة أو تنقل
الموميאות خارجها ، لأن هذه بيئة غير صحية حتى لو كانت
هذه رغبة المريض ذاته . من العسير أن نحيط المريض بهذه
الأشياء الشبيهة ويتنفس الهواء المتبعث منها . لقد رأينا تأثير
هذه الرائحة على أعصاب الناس ..

- « أت أصرُ على هذا الشرط ولن أعود إلى هنا ما لم يتم
تحقيق مطلبى . لم يأت بعد اليوم .. كما أتمنى .. الذى يتبادل فيه
المنحرف البريطانى ومستشفى سانت توماس مكتبتهما .. شكرا
لكم وأرجو أن تتفنوا ما طلبت .. »

لما تلاشى صوت حوافر خيول عربته قال د . (ونشستر) :

- « أنا موافق تماماً على ما قال . لكنك أدرى بظروف أبيك
ومدى أهمية ما طلبه منك .. »

قالت مرس (تريلونى) :

- « سوف أكتب خطاباً لمستر (مارفين) المحامى أسأله إن
كان بوسعى عدم تنفيذ مطلب أبى .. »

هكذا كتبت الخطاب وأرسلته .. ومرت ساعة من الزمن ، إلى
أن وصل مستر (مارفين) المحامى إلى الدار .

لم يكن راغب فى فتح الموضوع أمامى ، لكنها قالت له فى
نصميم :

- « مستر (روس) يعرف عن الموضوع قدر ما أعرفه أنا ..
لته صديق جدير لكنى أريده أن يكون على علم بكل التفاصيل .. »

قال المحامى :

- « تعليمات المستر (تريلونى) واضحة .. ممنوع نقله من
الغرفة ما دام حياً وممنوع نقل أى شيء من محتوياتها .
التعليمات قوية ولا يمكن أن تجد فيها ثغرات .. دعينى أؤكد لك
أننى لم أر وصية بهذا الوضوح من قبل ، وحتى أنا لا أقدر على
التساهل فى بعض فقراتها . أمل أن تفهمى هذا وتفهمى أننى
أرغب فى عمل أى شيء فى مقدورى . إن أبك لديه أسبابه
التي لم يكشفها لى .. أسف أن أضايقك لكن لا مفر من هذا .
سأكتب لك عنوان بيتى وعنوان النادى حيث أتواجد ليلاً .. يمكنك
طلبى فى أى وقت .. »

وصافحنا وانصرف ..

هنا دخلت مس (جرات) الغرفة وقد بدا القلق على وجهها .
وقالت :

- « يوسفنى أن أقول يا أنسة إن الخدم - كلهم م عدا اثنين - يريدون ترك المنزل اليوم . وقد ناقشهم رئيس الخدم فى الأمر . وهم يريدون أن يسووا الحساب اليوم حتى لو تنازلوا عن بعضه المهم أنهم يريدون الرحيل اليوم .. »

- « ما السبب ؟ »

- « لا سبب يا أنسة لكن الخادمة المسنولة عن التطبيق العلوى تقول إنهم يعتقدون أن البيت مسكون »

كان الأخرى أن نضحك لكن لم نفعل . بدا لى كأن أفكارى صار لها صوت .. لكن لم يكن هذا كل شيء . كانت هناك خاطرة أكثر سوادا وجهامة تريد الإفصاح عن نفسها لكنها لا تستطيع ..

الفصل 6

خسارة المسافر

استعادت مس (تريلونى) روعها بسرعة فقالت للممسز (جرات) :

- « ليكن . دعهم يرحلوا . لقد كانوا خدمًا مخلصين وسبب رحيلهم ليس معتدا . أما من سيقون فلدفعى لهم ضعف راتبهم .. »

كانت مديرة البيت متضايقة من الطريقة المهينة التى يقدم بها الخدم إذارهم وقد شعرت بأن هذا غير عادل بعد المعاملة الطيبة التى يلقونها هنا ..

قالت مس (تريلونى) :

- « لن نبحث عن خدم آخرين لن يزورنا أحد فى فترة مرض أبى هذه ، لذا يمكننا أن نعيش مع عدد الخدم الباقين . فليبق ثلاثة فقط . ولتعلنى أننى - برغم أننى لا أعتبرك من الخدم على الإطلاق - سأدفع لك ضعف الراتب كالأخرين . »

غادرت المرأة المكان . وسمعتها تهمس وهى تنصرف :

- « لا عجب أن يكون البيت كقصر الملك إن كانت سيدته أميرة ! »

أميرة ! نعم . هذه الفكرة راقّت لى وتذكرت كيف رأيتها أول مرة فى ذلك الحفل الراقص فى ميدان (سيلجريف) . منكة فرعة الطول نحيلة تتميل وتتموج كالسوسن أو النوتس شعرت بالرغبة والهيبة تجاهها فلم أدرك كم هى ظريفة طقة الطباع الا عندما حملها ذلك القارب فى النهر

مرت الليلة بخير . لم تنضم لنا مس (تريلونى) فى السهر لأن جهازه العصبى صار فى قمة الإرهاق وكانت فى حاجة إلى نعاس عميق بعيداً عن هذه الأحداث ..

لم يتحرك المريض طيلة الليل ، ولو لا تنفسه وارتفاع صدره لحسبته قد مات من رخام ..

وفى الثامنة صباحاً لحقت بنا مس (تريلونى) وقد أعاد لها النوم نضارتها عاد نوع من اللون إلى خديها اللذين كانت شاحبين بشكل مفرغ يتناقض مع حجبها الأسود وشفتيهي احمرانين أصلحت الوسادة تحت رأس أبيها برقة حركت مشعرى

نمت نوماً طيناً وتناولت طعام الغداء ..

استوقفتنى صوت رجل لحوح مزعج يتكلم مع خادم اسمه (موريس) على الباب كان (موريس) خادم عادياً ثم ترقى بعد رحيل الآخرين إلى رئيس خدم ..

بصعوبة استطعت تمييز ما يقول الرجل لأنه كان يتكلم بصوت عالٍ وانففاع :

« أقول لك إنه يجب أن أرى مسر (تريلونى) . ما جدوى أن تقول انسى لا أستطيع ؟ جئت فى التاسعة والثانية عشرة والثالثة وفى كل مرة تقول لى إنه فى الفراش وأنه لا يقابل أحداً .. دعنى ألقى مس (تريلونى) إذن .. »

« لا أستطيع أن أزعجها .. »

« بل لابد أن تزعجها . لابد من أن تزعج أحداً . لقد تحمّنت الكثير من الخدم الذين لا يملكون سوى كلمة (لا) زرت بيوت بدا لى أن دخول انقبور أسهل من دخولها ، وبدا لى أن سكنها موتى كسكان انقبور لم أعد أتحمّل أكثر . فهل ترك مسر (تريلونى) تعليمات واضحة بعدم السماح لى بالدخول ؟ »

أجاب الخادم فى تهذيب :

« اسف سيدى . إن لدى أوامرى وعلى أن أنفذها . ربما لو رأيت أن تترك رسالة لمس (تريلونى) »

كانت الإجابة أكثر هدوءاً :

« .. أيها الرجل الطبيب لا مشكلة لى معك شخصياً لكن الوقت ضيق ولا يمكن أن أضيع دقيقة .. وأعرف أن سيدك

سيكون غاضب أكثر منى مائة مرة لو عرف سر هذا تـحـرير
رباه ' ألا يوجد شخص عاقل اسمه فى هذا البيت ' و شخص
ذو سلطة إن لم يكن عاقلاً ؟ »

هكذا لم يعد هناك شك فى صدق الرجل ونهفته هـكـ فـت
للخاتم :

- « اخبر مس (تريلونى) أن هـكـ رجلاً يريد رويته ملـحـاح »

سألنى الرجل وأنا اقتلده إلى المدخل :

- « شكراً لك .. هل أنت السكرتير ؟ »

- « لا .. أنا صديق الأسرة .. »

- « لك الشكر إذن . اسمى هو (كورث) وبت لو اعطيتك
بطاقة لكهم لا يستعملون البطاقات من حيث حـت »

كان رجلاً قصير القامة ممثلاً نجعت حـده بشدة مع دنسى
على أنه كان بديناً ثم فقد الكثير من النعم والشحم نوه يوحى
بالشمس . ربما فى المناطق الحارة أو الشرق الأقصى
وفكرت فى أنه رجل مناسب للصحراء ..

جاءت مس (تريلونى) فلاحظت أنه دهش كثير وإن تمنيت
قررت فيما بينى وبين نفسى أن أعرف فيما بعد مسبب هذه
الدهشة ..

قالت مس (تريلونى) للرجل :

- « اعتقد أنك لا تمنك فكرة عن مدى خطورة حالة أبى
فى غيبوبة منذ ثلاثة أيام . وأن لا اعرف الا القليل عنه لأنى
جئت ها لأقيم معه منذ عدم . يمكنك الكلام امام مستر (بروس)
فلما أعطيه كامل ثقـتى .. »

بدأ الرجل يتكلم فى تردد .. قال :

- « اسمى (يوحين كورث) . ماجستير فى الفنون ودكتوراه
فى الفنون ودكتوراه أخرى فى الجراحة من كمبريدج . دكتوراه
لغت من جامعة لندن . دكتوراه لغات شرقية من باريس . فى
بداية حياتى وقعت فى حب علم المصريات . لـد أن جـرانا قد
لدغنى لاسى رحمت أنزل المقبر الفرعونية وتعمت الكثير .
قست أنك الذى كـ يحرق بعض الأسحاث ومن حينها لم يبق لى
الكثير لأمنه . ما من عالم مصريات مجنون يتمنى ريسب
أفضل من أبـك !

- « قمت بحملات عديدة فى مصر من أحل أبـك وأغلب
مالـيه من تحف حصل عليه عن طريقى ولكن هل انت واثقة
من أنه لا يقدر على مقابلتى فعلاً ؟ »

نهضت ، وقالت فى كبرياء :

- « تعال لترى بنفسك .. »

تبعها الرجل إلى غرفة المريض وأنا خلفهما . كان المستر (تريلونى) فى الفراش بملامحه القوية الآمرة . ما كان يُعَظِر ليوحى بالياس لهذا الحد لو كان وجهها عاديا ، لكن رؤية هذا الرجل المسيطر قوى الشخصية عاجزا كانت توحى بالخرب العظيم ..

ادبهم وجه مستر (كورنك) وبدأ عليه الضيق . ثم استحدثت نظرتة إلى بطرة تصميم . وأشار بعينه للممرضة مس (كنيدي) التى نظرت لسيدتها متسانة ثم غادرت المكان وأوصدت الباب وراءها ..

قال لنا :

- « اريد معرفة القصة كاملة كيف بدأت ومتى »

حكيت له ما أعرفه . لم يتحرك أثناء سماع القصة لكن بمعجزة تحول وجهه البرونزى إلى صلب . وقال عندما انتهيت :

- « مستر (تريلونى) كان يعرف ما يفعله وقد وعد بكر شيء عدته »

قلت :

- « ليس تماما هناك نقطة ضعف فى خطته وإلا لما رقد أمامنا الآن .. »

سألته من (تريلونى) :

- « هل لديك تفسير لما حدث ؟ وما سببه ؟ »

قال على الفور :

- « لا .. لا أعرف لكنى أخمن . صدقيني سأفعل أى شيء بوسعى كي أسعدك . لكنى فى هذه الحالة أواجه واجبا أكبر »

- « أى واجب ؟ »

- « الصمت ! »

واتفلق فمه كأنه مصيدة من الصلب ..

ساد الصمت من جديد حتى قطعتة مس (تريلونى) قائلة :

- « ما الشيء الملح الذى جئت من أجله وظننت مقابلتى ما دمت لم تلق أبى ؟ »

ضرب المقعد الذى كان يستند إليه ، وصاح :

- « ربه ! لقد نسيت كل شيء . رأيته فنسيت مهمتى . لكنى عاجز الآن عن طلب معاونته ورأيه . بينما الوقت يهت من بين أيدينا . ليس بوسعى أن أخبرك كل شيء . لكنى قد خسرت الكثير . مهمتى التى استمرت ثلاثة أعوام كانت ناجحة .. وجدت ما بحثت عنه وعدت به للوطن .. وجدت كنوزا عظيمة

القيمة . ووصلت إلى لندن أمس . لكن عندما صحت هذا الصباح وجدت أنني سرقت .. سرقت بطريقة غمضة فما من أحد في لندن يعرف ما أحمله . غرفتي كان لها باب واحد أحكمت غلقه . غرفتي كانت في الطابق الخامس وما كان بوسع أحد دخولها من النافذة . وبرغم هذا وجدت حقيتي فارغة هذا الصباح .. ولت المصاييح التي ذهبت إلى مصر لتتقيب عنها . بحثت .. تبحث .. والآن .. »

وبدا أنه موثك على الانهيار ثم أضاف

- « واحد من المصاييح من ذهب . أخشى أن يدمره النقص لأنه لا يعرف قيمته .. أخشى أن يذيله »

قالت مس (تريلوني) في ثقة أدهشتني

- « لا تخف .. لن يدمرها أحد ! »

- « وكيف تعرفين ؟ »

- « لا أعرف كيف عرفت فقط أعرف ذلك ! كانه بقيس في دمي طيلة حياتي ! »

الفصل 7

العثور على المصاييح

بشكل غير رسمي أخبرت الرقيب (دو) ببعض قصة هذا المسافر . والسبب أن الرجل كان يرغب في إبقائها سرًا . ولذا السبب قال لي (دو) إن رايه مجرد رأى عدم لأنه لو أردنا اتخاذ إجراءات رسمية فلابد من إبلاغ سكوتلاند يارد

وقد استجوب الرقيب المسافر ، فلم يعطه الأخير إلا أقل التفاصيل سراحة لابد أنه تعلمها من بائرات الشرق

سأله الرقيب :

- « السؤال هو . هل من سرق هذه الأشياء يعرف قيمتها أم سيقوم بصهرها ؟ »

- « أي شخص له رأس على كتفيه سوف يعرف قيمة هذه الأشياء العالية . »

- « إنك أنت نفترض أن من قام بهذا ليس مجرد خادمة فندق . هذا شخص يعرف ما يريد . نكت سوف تدهش عندما تعرف بسهولة أنني تمت بها السرقة عندما نكشفها ! »

قال (كوربك) في حرارة وعصبية :

.. « اصغ هنا يا صديقي الطيب .. ليس هناك شيء سهل في هذه السرقة . النوافذ كانت مغلقة والباب موصدا بالمزلاج .. لم أغادر الغرفة ليلا . وكن آخر ما قمت به قبل النوم هو التأكد من كنزى . لو أنك وجدت سرقة بسيطة في هذا فأت رجل بارع فعلا .. رجل قادر على إعادة ما سرق منى »

تقرر أن يقضى المستر (كوربك) بضعة أيام معف . وقضيا باقى اليوم لفحص محتويات البيت . وقد اكتسبت القصة ضوءا جديدا بعد ما حكاه لك مستر (كوربك) الآن فقط فهمت اى كنز يحويه هذا البيت . وقد تشرت فيه الموميوات وقطع النحت وأكثر من جعران فى غرفة النوم فى المكتب . عنى المرج

قالت لى (مارجرىيت) فى سداجة :

.. « لن تصدق أتنى لم أنظر قط لهذه الآثار باهتمام من قبل . أحبتها كقضية مسلعة . اليوم شعر باهتمام عميق يشدنى لها ربما هو دم المستكشف الذى أخذته من أبى قد بدأ يعلن عن نفسه .. »

هكذا قصينا اليوم نستكشف الآثار وقررنا أن نفحصها بشكلى مسلسل دقيق . لم تكن (مارجرىيت) بالسداجة التى تعتقدها فى نفسها . ان العام الذى قضته مع أبيها جعلها تعرف الكثير عن هذه الكنوز ..

عنى أن أهم التوابيت كانت تلك الثلاثة فى غرفة مستر (تريونى) . اثنتان كانتا من حجر أسود من الرخام النارى .. الثالث كان مختلفا . كان له لون العقيق اليمانى البنى المصفر . وهما وهناك يقع شبه شفاقة . وعلى السابوت آلاف النقوش الهيروغليفية بلون أزرق غامق . كان ذا منحنيات ناعمة جميلة ، وطوله حوالى عشر أقدام ..

.. « لا بد أن هذا السابوت مخصص لعملاق »

قالت :

.. « أو لعلاقة 1 »

ثم أضافت :

.. « لم يرغب أبى قط فى الكلام عن هذا السابوت . لقد شد انتباهى من البداية . سألته فقال إنه سيخبرنى بالقصة يوم ما ونسوف تكون قصة معنعة . لو عشت . لو عشت ! شعرت بدعرت تكراره لفظة الموت وقررت ألا أسأله ثانية .. »

كان كلامها قد ألقي على النغز ضوعين جديدين .. الأول هو أن مستر (تريونى) ربط بين موته وذلك الأثر . الثانى هو أنه كان يتوقع شيئا بصدده لم يجزؤ على التصريح به حتى لابنته ..

جوار التابوت كانت هناك منضدة رائعة الجمال عليها غنية تتركب من رقائق من الصخر البلورى ، وسط أحزمة من الذهب الأحمر . ربما بدت الغلبة من طراز عصرى لكن ما حوته كان العكس . بداخلها كانت وسادة من قماش ذهبي تركز عليها يد مومياء .. يد امرأة هي طويلة دقيقة في حالة معتررة كحائتها عندما أمسك بها المحتط منذ آلاف السنين .

كان الجلد بلون العاج أما العلفت للنظر فهو أن بها سبعة أصابع أعلى المعصم مشرشر كأنما تم بترها ، وقد تم تلوين هذا للموضع بلون أحمر غامق . كما كان بجوارها جعران من الزمرد - « كانت هذه من أسرار أبى المهمة . سألته عنها فوجد بان يشرح لى كل شيء فيما بعد .. لو عاش ! »

كانت حجرتها من طراز حديث يختلف عن باقى أثاث البيت الواقع أن الرجل لم يشأ أن تنام ابنته فى جو الموت والمومياءات المخيم على البيت هناك وجدت ذلك انكومود العتيق من طراز (نيلون) .. مددت يدي أتحمس الدرج فسمعت صوتاً كأنه معدن يضرب معدن . سألتها عن معنى هذا فقالت إنها لا تدري ..

- « ربما هم الخدم يستعملون هذا الدرج .. لا أرى بأساً من فتحه . »

اتحينا على الدرج وفتحناه وألقينا نظرة كان قلبى يدق كالمطرقة .. خشينا أن نمس شيئاً . لكننا استطعنا أن نرى المصاييح الموجودة فى الدرج بوضوح تام ! واللحظة خشينا أن نفكر فى أى شيء ..

فى هذه اللحظة ظهر مستر (كوربك) مع المفتش على باب المذبح ، فلما رانا دخل من دون حذر ، وهو يصيح :

« لقد استرددت متاعى يا مس (تريلونى) كل شيء هنا ما عدا المصاييح طبعا المصاييح التى .. »

ثم توقفت عيناه على الدرج المفتوح ..

أضيق صيحة دهشة وسرور واتحنى يتفحص هذه الأشياء راح ينهث وهو يحملها فى يده مصباحاً مصباحاً كأنما هى حبيبته . والصوت المنبعث منه كان أقرب لفظ يقر

أطلق الرقيب تنهيدة عاتية ، فطرت له .

رأيتة يحدق فى مس (تريلونى) التى كان ظهرها لنا .

الفصل 8

الحاجة إلى المعرفة

قال الرقيب (دو) في هدوء، وصوته يخرق الصمت كأنه
لحن نشال في معزوفة:

- « هل أنت واثق من أن هذه هي المصباح التي سرقت منك ؟ »

قال الرجل في ثقة:

- « بالتأكيد ! لا يمكن أن توجد مصباح كهذه في العثم كنه ؟ »

- « ومن أدراك أن هذه المصباح ليست فريدة ؟ ربما هناك

نسخة منها في المتحف المصري أو كانت عند مستر (تريلونى) ؟

لا جديد تحت الشمس كما تعرف . ربما كانت هذه هي الأصلية

والتي كانت عندك مزيفة . هل لديك علامة تؤكد ؟ »

هنا ثار غضب مستر (كوريك) ونسى تحفظه وانفجر في

حشد من الجمل غير المترابطة:

- « نسخ ؟ متحف بريطاني ؟ كلام فارغ ! لقد ضمنتها إلى

صدرى ثلاثة أشهر في الصحراء وكنت أكلها قبل النوم وحين

اليقظة .. أمضيت ساعات أفحصها بعدسة مكبرة . حفظت كل

نقش وكل حفر عليها (كا) تقف بين رع وأوزيريس في قارب

لموتى حيلة عين النوم ! هل رأيت هذا المشهد في أى مكان ؟ »

ثم بدأ يهدأ ، فقال:

- « أرجو أن تغفر لى ثورتى .. »

قال الرقيب:

- « بالعكس أنا أحب أن أرى الناس غاضبين من كلامى .. فقط

عندما يغضب الناس تعرف الحقيقة .. لقد أعطيتى تفاصيل عن هذه

المصباح فى الدقيقة الأخيرة تفوق كل ما قلته لى من قبل »

نظر مستر (كوريك) لى ، وسأل فى مرح:

- « كيف استرديتما هذه المصباح ؟ »

قلت فى لوتياك:

- « لم نستردّها ! »

- « كيف ؟ لقد كنتما تقفان تحمقان فيها . »

- « هذا ما حدث فعلا . وجنناها " وأقترح أن نسأل الخدم

لمعرفة كيف جاءت هنا . »

استجوبنا الخدم واحداً بعد الآخر عن شيء وضعوه فى درج

المكدع ، لكن لم تكن لدى أحدهم أدنى فكرة عما نتكلم عنه .

على كل حال وضعف المصباح في خزانة لها مفتاحان . مفتاح صار معي والاخر أخفيته في درج خاص بي ..

عندما انتهت هذه الأحداث وصل د . (ونشستر) ومعه صندوق فتحه أمامنا فوجدنا به مومياء قط .. كانت هذه هي التجربة التي أراد أن يجربها من قبل على القط (سيلفيو)

لقد تم استبدال هذه المومياء الحديثة بالمومياء الفرعونية ثم جلبنا (سيلفيو) ..

كنت المفجأة هي أن القط لم يبد أدنى اهتمام بالمومياء الجديدة . قال الطبيب في لهجة انتصار :

« توقعت هذا ! »

سألته مس (تريلوني) :

« وما معناه ؟ »

لم نجد تفسيراً ، لكن الرقيب كن رأيه أن الحادث تافه لكن ما عنده لم ينته عند هذا الحد ..

لقد دق باب غرفتي في المساء ليفضي لي بشكوكه .. المصباح موجودة في مكان تستطيع مس (تريلوني) الوصول له في أي وقت . لقد سمع نافذة تفتح في الطابق الأرضي أمس مس

(تريلوني) كانت موجودة في كل حوادث الاعتداء التي شهدناها من قبل . إنها موجودة دائماً في كل مرة .

كنت أصفي له وأنا أشعر بدرجة عالية من التوحش والخوف .. كنت أعرف أنني غارق في حبها الآن أردت أن أعبر عن شكوكي لكنني في الوقت ذاته كنت أرفضها بقوة

كانت عينا المفتش المحنك مسلطين على وجهي طيلة الوقت . بصعوبة قلت له :

« ماذا تريد قوله ؟ »

قال :

« أريد القول إن المصباح لم تسرق على الإطلاق هناك من جاء بها من الفندق إلى المنزل وتم تسليمها عن طريق نافذة في الطابق الأرضي .. ! »

شعرت براحة كبرى .. ليس هذا هو الاستنتاج الذي أخشاه ..

« ومن فعل هذا ؟ »

« لا أستطيع أن أحكم .. ربما مستر (كوربك) نفسه .. »

« إذن أنت تعبر للرجل نصيباً كذاباً تعاون مع مس (تريلوني) على تلفيق هذه القصة لمسبب لو آخر ؟ »

« تلك كلمات قاسية يا مستر (روس) .. لم أكن أحب أن أشك في مس (تريلونى) لكنى متأكد مما أقوله بصدد مستر (كوربك) .. لا أحب بقاءه في البيت بكل ما فيه من كنوز المزية الوحيدة لهذا الوضع هو أننى سأتمكن من مراقبته وطبعاً لا داعى لأن أقول إن الوضع سر بينى وبينك »

الفصل 9

وادي الساحرة

أعطانى (كوربك) كتاباً من مكتبة مستر (تريلونى) عن التاريخ الفرعونى قال إنه سيساعدنى على فهم ما يحدث هنا ، وقد وضع علامات على بعض الصفحات كى لا أضطر لقراءة الكتاب كله . لذا قررت أن أخذه معى أثناء السهر ، ووضعتة على المنضدة جوار الأباحورة . أملت العطاء بحيث يسمح لى بروية العرفة والممرضة الساحرة معى

منذ الصفحة الأولى بدا الكتاب ذا أهمية . فالغلاف يقول إنه طبع فى أمستردام عام 1650 . الكتبة بالهولندية وهناك من ترجمه للإنجليزية كلمة لكلمة بشكل حرفى جعل فهم المكتوب عسيراً . دعك من صعوبة تبين شكل الحروف العتيقة ، لكنى مع الوقت بدأت أكتسب القدرة على تمييز المكتوب

كنت أقرأ ثم أرفع عيى لأتفحص العرفة العارقة فى الظلام والصمت ، ثم أعود إلى صفحات الكتاب ، وكان لهذا أثره فى (زغلة) عيى ..

كان مؤلف الكتاب يدعى (نيكولاس فان هيون) ، يقول إنه افتتن بمصر حتى أنه ذهب إليها وفضى أكثر عمره فى استكشاف

معابدها وقبورها فما إن توعنت في الكتاب حتى رحت ارفع عيني من ان لآخر لأرى ان كانت الممرضة تحركت ، لقد بدأت أشعر بأن هناك شخصاً يقربى ..

واصلت القراءة عن مغامرة المؤلف في منطقة تقع شرقي اسوان :

« قرب المساء بنف واديا يمتد شرق وغرب كنت ارجب في عبوره لكن الفلاحين رقصوا ذلك بصرار لئلا نتمكن من العبور ايذا قبل الليل ولم يقدموا سببا لحوقهم في النهاية اعترفوا ان هذا وادي السحرة حيث لا يمكن ان يبيت احد ليلته قالوا هذا ولم يعطوا تفاصيل أكثر ..

« في الصباح تددت مخاوفهم فحكوا ان ساحرا او ساحرة كان يعيش هنا منذ ملايين ملايين السنين - حسب كلامهم - وقد دفن هنا واذا عبرنا الوادي لاحظت انهم يتعمدون ان يسبقوني قالوا ان السبب ان ذراع الساحرة طويلة ومن انحظر ان تكون آخر واحد في مجموعة ..

« في نهاية الطريق وجدت جدرا صخري امثلا بانقوش صممت على ان استكشفه لكن الفلاحين كانوا عصبيين جدا وحشيت ان افقدهم بعد عبور الوادي قابلت شيخا يدعى (ابو صم) وهو من البدو الذين لا يؤمنون بالخرافات مثل

المصريين . لذا صممت على ان اعود لاستكشاف هذا الجدار مع رجاله ..

« فشئت كل جهودي لتسلق الصخرة لأنها منسأة تماما . كما كن من المستحيل غزوها من اعلى ، لذا قررت ان اتدلى بانحبال فوقها بحث عن فتحة مقبرة اعتقدت في وجودها .

« بالفعل وجدت فتحة تم سدها بحجر كبير عليه نقوش هيروغليفية وقد تمكنت من تحطيمها باستعمال ما معي من أدوات هكذا وجدت نفسي داخل قبر قبر لم يمس . فيه ممر يقود لغرفة المومياء ..

« لحق بي الشيخ العربي ورجلان . وتعاونوا على رفع غطاء التوت الذي وحدناه داخل التابوت كانت مومياء امرأة ملفوفة بالشاش وقد قبرت أها من مرتبة عالية فوق صدرها كانت يد غير ملفوفة بالاربطة وهو وضع غريب غير معتاد كان نون الذراع كنوع و لاضفار سليمة كأن المومياء دفنت ليلة أمس كانت ليلة تتحرك ..

« الأغرب ان تلك اليد كانت ذات سبعة أصابع شعرت بقشعريرة إذ لمس هذه اليد التي ظننت انها الالف المسنين وتحت اليد - كأنما تحرسها - كانت يافوثة كبيرة .. يافوثة مذهلة

في حجمها وألوانها . الأغرب أن الضوء كان ينبعث منها من سبعة نجوم .. كأنها محبوسة بداخلها .

« كانت هناك أوعية كتوبية مما تحفظ فيها أحشاء المومياة ، وقد رأينا بعضها فأصر الرجال على إفراغها لأنهم حسبوا ما فيها كنزاً آخر ، لكن خاب سعيهم لأنها كانت مليئة بالزيت الذي سكبوا أكثره على الأرض ..

« فجأة اتبني الذعر وقررت أن أفر الآن من المقبرة ، لأنني كنت في الصحراء مع رجال غرباء ، ولأنني في قبر مجهول على ارتفاع مائة قدم حيث لن يعرف أحد عنى أى شيء لو حدث لى مكروه ..

« غادرت المقبرة مع الشيخ على حين تأخر الرجال لسبب لا أدريه . بعد قليل لحقوا بنا فتعثرت قدم أحدهم وسقط من أعلى ومات على الفور ..

« أغلقت المقبرة بعناية على أمل أن أرجع لها يوم ما فى ظروف أفضل . وفى الخارج رحبت لأول مرة بالشمس الحارقة التى بلدت مخاوف وظلام ورطوبة القبر . وأردت أن أعود لأسترد جثة المسكين الذى هناك . لكن الشيخ أرسل اثنين من رجاله للقيام بهذه المهمة ..

« فى المساء أقمنا مصكراً .. لحق بنا أحد الرجلين ليخبرنا أن أسد صحراء قد قتت بصاحبه .. وأنه دفن القتيل فى مكان لا تبث به الضباع ولا ينك أوى .

« لكنى لاحظت أنه يعرض على رفاقه شيئاً ينظرون له باعجاب وإكبار . دنوت منهم أكثر فعرفت أن هذا الشيء هو يد المومياة التى وجدناها .. لقد وجدها فوق جثة صاحبه الذى سقط من فوق المرتفع . لا بد أن القتيل سرقها خلسة وأنا مشغول مع الشيخ . من المؤكد أنها لم تجلب له الحظ الحسن ..

« قضيت ليلتى مؤرقاً أخشى الفدر .. فهؤلاء القوم يمكن أن يضعونى تحت رحمتهم فى أية لحظة .. خبات الياقوتة فى يدي كى أتمكن من النوم . وفى النهاية غنبنى النعاس

« صحت على شمس الصباح فجلست ونظرت حولى .. كان المصكر خائياً والنار قد خمدت .. لم يعد من أحد حولى إلا ذلك الشيخ العربى . كان راقداً على ظهره ميتاً وجهه شبه أسود وعيناه تحدقان فى السماء ..

من الجلى أنه خنق لأن هناك علامات أصابع حمر على عنقه .. بالتحديد سبعة أصابع . من الواضح أن السحر واللعنات موحودة حتى فى هذه الصحراء المفتوحة .

« سقطت الياقوتة من يدي التي أطبقت عليها طيلة الليل . فوق قم الجنة .. هنا خرجت دفقة دم من قم الرجل حتى بدا أن الياقوتة ستضيع . ووجدت في يده خنجرًا فعرفت أنه كان موشكًا على الفتك بي أثناء نومي لولا أن أنقذتني معجزة ما »

« استعدت الياقوتة ملوثة بالدم وهررت من هذا المكان الرهيب . ومشيت وحدي في الصحراء حتى وجدت معون الله قافلة من الأعراب تصكر جوار بنر .. وقد استرحت لديهم .

« لا أعرف ما صار بصدد يد المومياء ولا من أخذوها لآب أن قبيلة صحراوية ما تستعملها كنعويذة للقوة »

« فيما بعد فحصت الياقوتة وحاولت فهم ما نقش عليها . وقد كان ما رسم عليها هو ... »

كنت منهمكًا في القراءة ، لكن التوتر جعلني أشعر أكثر من مرة برؤية ظل كبير كأنه ليد فوق الصفحات . ثم عرفت أنه ظل الغطاء المحيط بالمصباح لكن لا عجب في هذا ، فلو لم أكن مخطئًا فإن ذات اليد التي وصفها (فان هوين) موحودة معي الآن في ذات الحجرة ..

تأكدت من أن الممرضة متيقظة ، فمعا يريح النفس أن تعرف أن هناك شخصًا حيًا بقربك أثناء قراءة هذه القصص ..

فجأة رأيت بدا حقيقة فوق صفحات الكتاب . هذه المرة لا شك في هذا .. يد أعرفها وأحببتها .. نعم .. لقد أحببت يد مس (تريلوني) حقًا ، وكانت الآن تقف حوارى .. أغلقت للكتاب في عجلة ، فقالت :

- « جئت كي أبدأ سهرتي .. حسبتك قد رحت في غيبوبة أنت الآخر .. »

قلت وأنا أداري الكتاب :

- « لا مشكلة .. هذا كتاب استعرته من مكتبة أبيك وسوف أعيده أعرف رغبته في أن يظل كل شيء كما هو .. »

وطلبت منها الإذن وهرعت لحجرتي كي أخفي الكتاب هناك .. ذهبت الممرضة لتخلد للنوم فجلست وحدي مع مس (تريلوني) لم أكن بحاجة إلى كتاب في وجودها .. وهذه المرة لم نتكلم قط عن المومياءات ولا البدو ولا الكهوف .. أعرف يقينًا أن يد مس ليست ذات سبعة أصابع والسبب أنها تستقر الآن في يدي ..

* * *

في الصباح قال د . (ونشستر) إنه ذاهب إلى (إيسوتش) وطلب مني الكتاب ليطالع في القطار وهو ذاهب إلى هناك .

صعدت لغرفتي لأحضره لكنى لم أجده فى أى مكان .. أنا متأكد من أننى تركته على المنضدة الصغيرة هناك .. هذا غريب .. لم يكن منظر الكتاب ليحذب انتباه أى خادم لسرقته هكذا عدت لأخبر الآخرين باختفائه ..

قال مستر (كوريك) عندما عرف القصة :

« على كل حال لا تقلق . لا يوجد فى الكتاب ما يؤثر الاهتمام بعد هذا ، ولمدة قرنين لم يحل أحد لغز هذه الياقوتة . لكن الكتاب يلقى علينا أسئلة مهمة ، وهذه الأسئلة هى التى حفرت أمثال (تريلونى) وأن على محاولة حلها .. والتقىنا عند هذه النقطة ، فهو حجة فى اللغات الشرقية ، أما أنا فأفضل منه فى لغات الشمال . ذهبت الى أمستردام وبدأت جهداً كبيراً فى البحث عن أية كنوز تركها ذلك المستكشف الهولندى فى متجر قديم وجدت تلك الياقوتة ذات النجوم السبعة وعليها نقوش هيرغليفية . لم يكن صاحب المتجر فى عالمه الناعم يعرف أى شيء عن أهمية هذه التحفة إلا أنها حجر ثمين ، وكانت جيوس منية لأننى أشتري للمستر (تريلونى) الذى تعرف بالتأكد كم هو ثرى هكذا ابتعت الياقوتة وعدت إلى لندن وقلبى معمم بالحماس والسرور وضعت الجوهرة فى خزانة مستر (تريلونى) وانطلقنا نستكشف بعد ما تأكدنا من صدق القصة فى الكتاب »

الفصل 10

قبر ملكة

« فى هذا الوقت كانت ثورة (عرابى) قد انتهت وصارت مصر مكان ماسونياً للمسافرين الإنجليز . هكذا سافرنا إلى هناك ، ولم يكن مستر (تريلونى) ممن يخافون حتى بدأت أعتبر نفسى جيباً بالمقارنة به ..

« وجد مجموعة من الأعراب ، منهم واحد عرفنا أن بوسعنا أن نثق به . أو على الأقل نشك فيه بقدر أقل من الباقين » . وحصلنا على موافقة السلطات الموالية للبريطانيين ، وإن احتجنا للكثير من الرشوة . ثم بدأنا رحلتنا فى الصحراء

بدأنا البحث فى أسوان الى أن وجدنا وادياً يشبه هذا الذى وصفه (فان هيون) . وجدنا ذلك الجرف الصخري ، لكن الأسرار التى حيرت (فان هيون) لم تعد مستغفلة علينا اليوم . استطعنا قراءة ما كتبه كهنة طيبة منذ خمسين قرناً . كهنة معادون لو كان لى أن أقول هذا . فقد كانت الكلمات تقول :

(★) عدد تمرى على كل حقل مصرية (سوكرا) وكراهبه للفرقة والعرب وقد قرأ من هذا الكثير فى (عربى السوده ليهاء) . وقتله كى قصه فى ثروة عصر الإمبراطورية البريطانية ..

« هاهنا تأتي الآلهة من دون دعاء .. فقد أهانهم الذي لا اسم له
ولسوف يظل وحيداً للأبد .. لا تدنُ ولا صغفك انتقامهم .. »

لم يعد أحد يقدر على قراءة المکتوب ، لكن صدى التهديد ظل
حيّاً عبر القرون ، فلم يجسر واحد من الأهلى على الدنو من هذا
القبر . ولم نجسر على ترجمة المکتوب لنقاديمين معنا . فهم
وإن كانوا لا يؤمنون بتلك الآلهة التي يحذرنا الكهنة منها ، فهم
مؤمنون بالخرافات كثير و التطير . ومن السهل أن يتحنوا عن
المهمة ويفرون ..

صنعنا درجات من الخشب تعلو الصخرة ، وصعدنا إلى حيث
وجدنا الصخرة التي تسد الكهف موضوعة بشكل أخرق وإن أبقاها
وزنها حيث هي .. اضطررنا لدفعها للداخل كي نتمكن من الدخول

هكذا نزلت القبر أنا ومستر (تريلوني) ومضا مصابيح عدة
رحنا نشبتها ونحن نتوغل . كان هذا من أجمل ما رأيته أعيننا
من قبور . لابد أنه أعد في حياة ساكنة وبأوامره .

وعلى القطعة التي نطلق عليها اسم (البلاطة التذكيرية)
وجدنا نقوشاً بالهيروغليفية نقول :

« تيرا ملكة مصر وربة (انتيف) ملك الشمال والجنوب . »

ثم راحت الكتابة تحكي قصة ملكها . كان تاجا الشمال والجنوب
(الهيجت والدشر) في قبر ملكة مصرية وهاذا شيء غير معتاد
كان هناك عرف في مصر القديمة أن هذا التاج ينسب ملك فقط .

لك أن تتصور ذهوننا وسط كل هذه العظمة .. خاصة أننا لسنا
أول بشرين يرى هذه الأشياء ، لكننا أول بشرين ندرك معناها
منذ خمسة آلاف سنة

كن سقف المقبرة منقوشاً بكثافة وكل النقوش بنون أحضر
مزرق . وقد نزل (تريلوني) أولاً بالداخل وجدنا تابوتا من
حجر أصفر هو الذي رأيته أنت في غرفة مستر (تريلوني) .
كم وصفه (فان هوين) بالضغط .. بالطبع كان المشهد أقل
إثارة مما وجدته (فان هوين) لكن كان هناك مشهد أثار رعبنا
ولم يره هذا الأخير . ففي نهاية نراع الملكة - حيث يتر الساعد
- كان هناك دم جاف !!

كتبه نزلت حتى الموت ! وقد سال الدم وأغرق اللفافات كأنه
الصدأ ..

هناك دليل على صدق الراوى .. بالتالى لم أعد أشك في
ما في قصته . مثل الأصابع السبعة على حنجرة الشيخ .

الأمر لن اتقر عليك بتفاصيل لا تهم سوى الأكاديميين .
سأحكي لك ما يهمك فقط . كانت الملكة (تيرا) هي الحادية
عشرة في سلسلة ملوك من طيبة تواجدت بين القرن التاسع
والعشرين والخامس والعشرين قبل الميلاد . كانت الابنة
الوحيدة لابيها (انتيف) مات أبوها في صغرها فأغرى هذا

الكهنة بأن ينفذوا مؤامرتهم للاستيلاء على الحكم . لكن الملك كان قد تحسب لهذا ، لذا ضمن لابنته ولاء الجيش ، وعلمها علم الكهان وسحرهم . بحيث نشأت الفتاة بين النصوص وأحست الفنون . من المدهش أن تعرف أن جزءاً كبيراً من النقوش التي رأيناها صنعها بنفسها ..

لقد درست السحر الأسود وصار بوسعها أن تسيطر على العقل وقدرات الإرادة والنوم واليقظة . وقد جعلت الكهنة يضعونها في تابوت وينزلونها القبر لمدة شهر ، ثم عادت بعد هذا لتثبت أنها أقوى من الموت ..

في كل جزء من المقبرة توجد رسوم تمثل كوكبة نجوم المحراث . يبدو أنها بشكل ما كانت تربط نفسها بهذه الكوكبة

كان الكهنة ينوون محو اسمها ، وهذا شيء خطير لو كنت مصرياً قديماً لأنه يحرمك نهائياً من العالم الآخر . وكانت هي تعرف هذا ، لذا قررت أن تبعث ثابته بعد زمن بعيد في أرض شمالية أكثر . تحت كوكبة النجوم التي حكمت ميلادها .

حرصت على أن تترك يدها غير ملفوفة وفيها الجوهرة ، بحيث يمكنها الحركة لو شعرت بهواء طلق .. كما فهمنا فباتها قررت أن تتحول إلى شكل نجمي وتتجمع جزءاً بجزء حتى تصبح هي من جديد ..

عند قدميها في التابوت كان صندوق حجري ذو سبعة جوانب هو الذي رأيته في غرفة مستر (تريلوني) ..

نقد ظللنا في وادي الساحرة أياماً حتى نسخنا كل ما وجدناه على الجدران . وعندما رحلنا أخذنا عدة أشياء من بينها تابوت المومياء ذاته . كانت عملية النقل صعبة ، وكان الخطر دائماً خاصة في النيل من العصبية وهولاء البدو المرافقين لنا .

في النيل داهمنا عاصفة سموم من تلك العواصف العنيفة التي تهاجم الناس في الصحراء . هرب البعض بينما حاولنا أن نتمسك ونصمد ..

في الصباح جمعنا جثثنا .. وجدنا التابوت الذي كانت فيه المومياء لكن لم نجد لها .. بحثنا .. حفرنا الرمال بلا جدوى . لكن في النيل نهض (تريلوني) وهمس في أذني :

- « سنعود إلى المقبرة ! لا تسأل عن السبب حتى لا نسبب الشكوك .. فقط نفذ ما أقول »

ثم همس :

- « سنجد المومياء هناك ! تأكد من هذا »

هكذا قررنا العودة ولم يرق هذا للعرب وحدثت احتكاكات كثيرة .. من ثم وجدت ومستر (تريلوني) أننا مرغمان على العودة

وحدنا الى الوادى وإن وعد الشيخ بأن ينتظرنا فى المعسكر ثلاثة أيام ..

بدا واضحا أن هناك من دخل المقبرة أثناء غيابنا . فقد كان الحبل يتدلى داخل القبر من الفتحة العلوية ' تبادلنا النظرات ولم نتكلم ..

نزلف إلى المقبرة . هنا خطر لى أن هذه مصيدة محكمة . لو أن أحدهم قطع الحبل لدفنا هنا حينئذ ، وكانت الفكرة مرعبة لكن وقت عمل شيء قد تأخر ..

دخلت قاعة الدفن . وكانت خاوية موحشة بسبب غياب التيبوت العظيم . ما جعلها موحشة أكثر هو مومياء الملكة التى وجداها مقلدة على الأرض ' وحوار الأشلاء كان ثلاثة من العرب الذين تركون كانوا موتى اسودت وجوههم وتنطخت ثيابهم بادم الذى نزف من أفواههم وأنوفهم . وعلى حلقى كثر منهم أثر يد ذات سبعة أصابع ..

صرخنا وتماسكنا . لأن ما هو أكثر شذوذا كان تلك اليد التى استقرت على صدر المومياء . يد لها لون العج ولها سبعة أصابع !

الفصل 11

التحوض من السبات

لما استعدنا روعنا لم نضيع أى وقت فى نقل المومياء .. نقلناها خارج المقبرة وعدنا إلى معسكرنا حيث كان ينتظرنا مراقبون . لدهشتنا وجدناهم موشكين على الرجيل . سألنا الشيخ فقال انه أنهى المطلوب منه فى الاتفاق وأن ثلاثة أيام قد مرت .. حسبته كاذبا يبرر رغبته فى تركنا ..

وصننا القاهرة وهناك تذكرنا أن تاريخ دخولنا المقبرة الثانى كان 3 أكتوبر 1884 .. لن أنسى التاريخ لسبب معين . لقد مرت علينا فى المقبرة ثلاثة أيام كاملة ونحن نحقق فى المومياء وأشلاء اللصوص !

من القاهرة قصدنا الإسكندرية حيث كان علينا أن نركب سفينة إلى مرسينا . ومن هناك بالفطار إلى لندن . لكن كانت تنتظرنا فى الإسكندرية برفية تخبرنا أن مس (تريلونى) ماتت وهى تضع طفلة .. هى (مارجريت) ..

هكذا انفصل عني مستر (تريلونى) ليسرع إلى الوطن ، ولحقت أنا به حاملا المتاع والمومياء . لقد شاب شعر الرجل . ومنذ تلقى البرقية ثم أراه يضحك مرة واحدة .

كانت علاقته بابنته (مارجريت) مركبة تجمع بين الحب الذى يبلغ درجة العبادة ، والشعور بأنها سبب موت أمها الشئ الثانى الذى أخفاه لكنه أعلن عنه فى لحظة معينة هو .

« إنها لا تشبه أمها . تشبه صور تلك الملكة (تيرا) »

ثم أرسل الطفلة لتتربى بعيدا . ولم أرها مرة أخرى قط حتى هذا اليوم الذى جنت فيه للبيت ..

قرر أن يفرق همومه فى العمل ، وقد قضى وقته فى دراسة ما حصل عليه وفى تنسيقه ..

كانت خلاصة دراسات (تريلونى) تقول إن سر الباقوتة لن يتضح الا عندما توضع فى وضع خاص وسط ما يماثل نجوم كوكبة المحراث . أى أنه يجب أن تحيط بها سبعة مصادر ضوئية تعمل عمل النجوم . وقد جربنا هذا بعدة مصابيح بلا جدوى ، من ثم فكر (تريلونى) فى أن هناك نوعا من المصابيح اصطنعتها الملكة (تيرا) تقوم بهذه المهمة بالذات .

هكذا عدت إلى مصر وإلى المقبرة من جديد بحثا عن تلك المصابيح الغامضة . وكان هناك سرداب خفى لم نلفظ له فى المرة الأولى . لكنى وجدت جثة لص حاول فتحه ومات رحلت أنقب أعواما ، وفى النهاية وجدت المصابيح عند تاجر عديت

كلها تحمل شعار الرب (هاتور) ، وقد اضطررت لشراء أشياء كثيرة من ذلك التاجر لأخفى اهتمامى الخاص بهذه الأشياء ، وعدت بها ملهوف إلى لندن بعد غياب ثلاثة أعوام عن الوطن لأجد الوضع كما تراء ..

قال مستر (كوريك) وهو ينهى قصته :

« أنت الآن تعرف ما أعرفه عن القصة ، ولك أن تحدد القدر الذى يمكن أن تعرفه من (تريلونى) .. »

هنا سمعنا صوت من (تريلونى) يقول :

« عم تتكلمان ؟ وما هو ذلك السر الذى تتأشنان معرفتى له ؟ »

عجزت عن الكلام فقالت :

« لا تتعب نفسك . لا أود سماع أى شئ قبل أن يشفى أبى .. »

ثم أعلنت أنها ستخرج إلى الحديقة قليلا كي تتعش من جو البيت المسموم ..

جلست وحدى فى غرفة المريض وقد انصرفت الممرضة من أجل بعض شائنها . ورحت أتأمل فى كل ما فات وما قاله لى مستر (كوريك) ..

هنا سمعت صوتاً غريباً . صوتاً لا معنى له لكنه بدا كلحن عذب في أذني ..

لقد كان الرجل المريض يتكلم !

- « من أنت ؟ ماذا تعمل هنا ؟ »

لم يتخيل أحداً أن يفيق الرجل ويسيطر على حواسه بهذه السهولة !

رددت بطريقة شبه آلية :

- « اسمي (روس) .. وأت مكلف بالعناية بك .. »

- « تعني بي ؟ لماذا تعني بي ؟ »

ثم استقرت عيناه على الضمادة على معصمه فالتفتا .. ثم صار أقل عدوانية ، وقال :

- « هل أنت طبيب ؟ »

- « لا .. »

وابتسمت .. هنا سأل وقد استعاد دكتاتوريته

- « لست طبيباً ؟ إذن ما الذي تفعله هنا ؟ »

قلت في هدوء :

- « أنا محام لكن ليست هذه صفتي هنا .. لقد طلبتني ابنتك عندما حسبتك قد قتلت .. بعد هذا اعتبرتني صديقاً وطلبت مني العناية بك .. »

لم يكن بالرجل كثير الكلام . وقد أدركت أنه قبل وجودي بسرعة .. ربما كانت لديه أسبابه ..

- « هل حسبتك ذلك أمس ؟ »

- « بل منذ أربعة أيام .. ! »

بدا عليه الذهول ، ثم قال لي :

- « أغلق الباب .. لا أريد أن أقبل أحداً أو أكلم أحداً قبل أن

أعرف منك بالتفصيل ما حدث .. »

اتجهت لفتح الباب وأنا أشعر بالراحة . كل واحد في هذا

البيت يعاملني بشكل استثنائي ..

- « هلم .. »

هكذا رحت أحكي له قصتي . وبالطبع لم أحك شيئاً عن حبي لابنته التي صار اسمها مس (تريلوني) لا (مارجريت) الان ، ولا قصة (كوربك) التي لم أقل عنها سوى إن الرجل أضاع بعض المصابيح ووجدها في البيت . كل هذا وهو يرمقني بنظراته الفحصة للروح طينة الوقت وتذكرت أن أصدقائي

كانوا يصفوننى بالقوة .. يجب ألا أضعف أمام هذا الرجل .. ابنتى
أواجه الآن لحظة صعبة بحق ..

فى النهاية قال لى بابتسامة مطمئنة :

- « (مالكولم روس) .. سمعت عنك الكثير كجنتلمان شجاع
وشريف .. يسرنى أن ابنتى لها صديق .. »

هنا تواثب قلبى ، فقد ربحت أول خطوة فى الفوز بأبى
(مارجرىت) ..

وفهمت من الكلام أنه سرٌ لمعرفة أن ابنته كانت خائفة جزعة
عليه .. لقد كان يحب أمها حقاً ، وحبها هو حب لابنة زوجته
أكثر مما هو حب لابنته ..

بدأ جو من (الحموة) يولد ويبعث الأمل فى قلبى . للحظات
شعرت بأنه يكلمنى كزوج ابنته فعلاً .. وعندما طلب منى أن
أستدعى له (كوريك) حالاً وألا أبلىغ ابنته على الفور حتى لا
تصدم ، هرعت إلى الباب .. هنا استوقفنى صوته ينادينى .

- « مستر (روس) »

توقفت وقد تضايقت لأنه عاد لصيفة (مستر) الرسمية بعد ما
نادانى (مالكولم) عدة مرات . عدت له فقال لى :

- « أفهم من كل هذا الحماس الذى تتحدث به عن ابنتى أنك
تنوى طلب يدها منى فى وقت قريب ؟ »

- « بالقطع ! كانت هذه نيتى طبعاً بعد فترة مناسبة
محترمة . لقد اقتربت منها فى الفترة الأخيرة أكثر مما كنت
أحلم به لكنى أؤكد لك بشرفى أتنى - من ناحية ابنتك على الأقل -
ما زلت مجرد صديق ، ولم أفتحها فى أى شيء بهذا الصدد ..
إن الظروف لم تكن تسمح على كل حال . »

- « إذن أطلب منك ألا تفتح الموضوع معها ، لأن الوقت
ضيق وأنا بحاجة إلى التفكير فى مواضيع أخرى »
- « أعدك بهذا يا سيدى . »

خرجت وأخبرت (كوريك) بأن مستر (تريلونى) قد شفى .
راح يرقص كالمجنون . أما (مارجرىت) فحلمت على أقرب
مقعد وراحت تبكى .. أخبرت الرقيب (دو) فساننى على
الفور :

- « ما هى قصته عن الاعتداء الأول عليه ؟ لقد كان فى
غيوبة عندما وقع الاعتداء الثانى .. »

كنت قد نسيت كل شيء عن الاعتداء الأول .. لم أسأل الأب
عنه ، لكن الغريزة المهنية لدى الرجل كانت قوية فعلاً .. وكان

رأيه إن فرحة عودة الرجل للوعى سوف تتسببنا جميعاً البحث
عن تفسير منطقي لما حدث ..

نادى الأب (مارجریت) فهرعت إلى حجرته غير مصدقة .

كان آخر ما رأيته هو منظرها بين ذراعى أبيها ، ثم انغلق
الباب عليهما ..

الفصل 12

الوحمة

كنت غارقاً فى خواطرى بصدد هذين المخلوقين القويين اللذين
لم يجدا الفرصة قط ليتقاربا .. كان كل منهما بحاجة إلى أن
يشعر بهتمام الآخر ، عندما انفتح الباب و نادانى مستر
(تريلونى) بلهجة أمرة :

« تعال يا مستر (بروم) .. »

نهضت متوجساً من هذه اللهجة الرسمية ، فأغلق الباب خلفى
وقال لابنته :

« هذا الرجل عرف الكثير جداً عن الموضوع فلم يعد أمامنا
إلا أن نتوقف هه ونطلب منه أن يرحل . أو أن نريه ساعدك .. »

فى تردد كشفت (مارجریت) عن ساعدها وقربت منى .. هنا
اجفت من رأيت فعلى معصمها كان خط أحمر متعرج تتدلى
منه نقط حمر كأنها قطرات دم !

الغريب أنها بدت فحوراً برغم ما جبلت عليه من نكران الذات ..
برغم النار المتقدة فى عينيها والمسلطة على روحى . كانت
تفيض كبرياء .. كبرياء ملكة من عصور غيرة ولدت كي تكون
الأولى والأعظم ..

سألني أبوها :

- « ماذا تراه ؟ »

لم أرد بكلمات فقط أمسكت بيد (مارجريت) وثمنت معصمها . لمحت شبح ابتسامة على شفتيها كأنها تحلم

قال الأب :

- « الان هات لي مفتاح الخزانة كي ألقى نظرة على تلك المصليح .. »

هكذا هرعنا إلى (شاتسرى لين) لأجلب له المفتاح .

تناولنا العشاء مع د (ونشستر) ومستر (كوربك) وكان عشاء مرحاً بطبيعة الحال . وبعده قال لي الأب :

- « أرى أن تمضي لبيتك في بيتك . فأتا بحجة لنهدوء والحديث مع ابنتي .. غذا أخبرك بالمزيد .. »

كنت أشعر بضيق لترك البيت بعد تلك الأيام لكنني فهمت إرادته واحترمتها ..

- « تعال منكراً في أي وقت تريد . لو أردت تناول الإفطار معنا فلتأت .. »

ولم أتم تلك الليلة .. السعادة على جانب من فراشي والقلق على الجانب الآخر . وجاء الفجر مسرعاً مندفعاً فهرعت إلى دار (مارجريت) لتناول الإفطار مع الأسرة ..

قال الأب لما فرغ من الإفطار :

- « أنا راغب في إجراء تجربة علمية خطيرة أعتقد أنها ستضيف الكثير لفهمنا للكون ولل بشرية ، لكنني لست طليق اليد في وحود ابنتي . أشعر أن هناك خطراً لا بأس به عليها .. »
بهضت (مارجريت) واحتصنت أياها ، وقالت :

- « أبي . إن أمي لم تطلب منك البقاء جوارها حينما قمت بتلك الرحلة الخطرة لمصر ، خاصة والبلاد كانت في حرب .. لقد تركت تذهب كما أردت برغم خوفها عليك .. والدليل هو هذا »
ومدت معصمها كي نرى ذلك الخط الشبيه بالندبة ، وقالت :

- « ابنة أمها ستفعل ما كانت أمها ستفعل . فما سوف نجتاز هذا الخطر لو ما سوف نفشل .. »

شعرت بأنها منككة أكثر من أي وقت مضى . وقد نهضت وأمسكت بيدها ، وقلت :

- « مستر (تريلوني) . أنا وابنتك شخص واحد في هذا الموضوع .. »

بعد قليل جاء مستر (كوريك) و (ونشستر) بدا من ملامحهما أنهم مقبلان على أمر خطير بحق واجتمعوا في غرفة المكتب حول مستر (تريونى) الذى نظر للطبيب ، وقال :
- « أنت الآن تعرف من مستر (كوريك) قدر ما نعرف ، فهل أنت مستعد لخوض هذه التجربة ؟ »

قال الطبيب :

- « أن مهمت بشدة بهذه القصة العامضة وأنا رجل علم مهتم بالظواهر الغريبة ، كما اننى وحيد بلا أسرة . يمكنك الاعتماد على »

قال مستر (تريونى) :

- « التجربة التى نحن بصددھا هى معرفة ما اذا كان هناك شيء من الصواب فى السحر القديم لا توجد ظروف افضل من هذه للاختبار . عن نفسى أن مومن بأن هناك حقيقة فى هذا بعد كل شيء ليست التوراة كتاب خرافيا ، وهى تتحدث عن أن الشمس توقفت فى كبد السماء بأمر رجل ، وأن حمرا تكلم هذه الملكة (تيرا) ظلت محبولة بالنسبة لكل من كتب عن التاريخ الفرعونى ، لكنها كانت ساحرة . وما دامت ساحرة فن لها شيطانا Familiar بالتاكيد . فهل فكر أحدكم فى شيطاتها ؟ »

هنا هتف الطبيب :

- « القُط ! مومياء القُط ! »

ابتسم مستر (تريونى) ، وقال :

- « نعم كل شيء يؤكد أن شيطانها كان القُط الذى تم تحنيطه ودفنه معها .. ليس فى قبرها بل فى ذات التابوت معها . هو ذات القُط الذى مزق معصمى .. »

هتفت (مارجريت) :

- « انن (سيلفيو) المسكين براء حمدا لله ! »

- « واضح أن هذه المرأة كانت تتمتع بحس خرق للعادة لاند أنها نظرت الى الشمال وغتبتها نجوم كوكبة المحراث السبعة . هكذا ولدت جوهرة النجوم السبعة التى اعتبرتها طنسم حياتها رقم سبعة كان الرقم السحري فى حياتها ولا غرو سبعة أصابع فى يدها وسبعة فى قدمها لقد ولدت مع فيضان النيل فى الشهر السابع من السنة ، وكانت ربها هى (هاتور) التى جمعت المكر والحكمة لو طبقنا التقويم الميلادى فالشهر السابع يبدأ عندما يكون نصل المحراث فوق طيبة تذكروا أن الفراعنة بلغوا مبلغ يفوق عنما فى علوم عدة ، ومنها الفلك والتصويت العذينة فى معبد الكرنك . هنا نفحص الصندوق الذى وجدناه فى المقبرة بين قدميها والذى له سبعة جوانب .

والذى اعتقد أنه صنع من نيزك سقط يوم مولدها .. هذا الصندوق غير قابل للفتح لأنه مغلق من الداخل . فكيف انطق ؟ وماذا يحويه ؟ اعتقد أنه يحوى أسراراً عظيمة ربما هى أسرار عرفها الفراعنة وتمت بصلة لسيطرتهم على الأعشاب ربما عرفوا وصفات سحرية لا نعرفها ، ولها قدرة سحرية على التنويم .. تذكروا أنني نمت ثلثة أيام كاملة ومن قبل مرت علينا ثلاثة أيام فى المقبرة دون أن نشعر ..

« كانت الملكة بعد كل شيء لعودتها للحياة . وعلى عكس العقيدة الدينية وقتها ، كانت تأمل فى أن تعود بلحمها ودمها . وهو ما أثار غيظ الكهنة . لاحظوا أن أوعيتها الكتوبية خالية . اعتقد أن أحشاءها لم تنزع قط ، ومخها لم يتم تعريغه كما هى العادة .

« لماذا تركت الممر الذى يقود للمقبرة خائياً مع أن العادة جرت على أن يتم ملؤه بالحصى ؟ لأنها كانت تأمل أن تغادر القبر فى صورة امرأة جديدة وأرادت أن يكون الطريق مفتوحاً .. لنفس السبب وضعت السلسلة التى وصفها (فان هوين) نتمكن من تسلق المقبرة الى أعلى الجرف الصخرى .. »

الفصل 13

غرض الملكة (تيرا)

- « الآن ماذا عن الجوهرة ؟ هناك كلمات معينة عند المصريين قيل إنها كلمات سرية أو (حيكوا) ، قدرة على استدعاء أرباب العالم السفلى والعلوى .. إن جوهرة النجوم السبعة منقوشة بالهيروغليفية فى موضعين وعليها تلك (الحيكوا) .. ولكن لتنظروا لتروا بأنفسكم .. »

وغاب لمدة دقيقة أو اثنتين ، ثم عاد بصندوق ذهبى صغير .

على وسادة من ساتان أبيض كانت ياقوتة عظيمة الحجم وقد تمت صبغتها على شكل جعران . وكانت سبعة نجوم تلمع وسط اللون الأحمر المبهر .. بالفعل لها شكل المحراث .. هناك تعويذتان . واحدة تقول (الحب) وهى تستعمل لاستدعاء أرباب العالم العلوى ، و (الصبر) وتستعمل لاستدعاء أرباب العالم السفلى

قال مستر (تريلونى) :

- « إذن هى ظلت كل هذه القرون فى تابوتها تنتظر متذرة (بالصبر) الذى يستدعى أرباب العالم السفلى ، منتظرة (الحب) الذى يستدعى أرباب العالم العلوى . هنا نأتى لأجراً استثنائياً .. »

هذه الهجمة على كيان الغرض منها فتح الحزاة وإخراج جوهرة النجوم السبعة لعالم الخارجى .. ان حضورها النجمى كروح او (كا) لا يقدر على اخراج الجوهرة من الخفى لان الجوهرة ذات وجود مادي قوى هكذا استعنت الملكة بحضورها النجمى وقوة شيطانها - مومياء النقط - لتحصن على المفتاح ان ايضا تذرعت بالتصير فترة طويلة كي تجد الظروف الملائمة لفتح الصندوق واعادة الملكة للحياة «

سألته (ملرجريت) :

- « ابسى ام يكن الفراغنة يومنون بالبعث مرة واحدة لا أكثر ؟ ام انهم امسوا بتكرار البعث فى عدة عصور ؟ »

- « ان هو الا بعث واحد فى عقائد الفراعنة . لكن بينهم من اعتقدوا بالبعث فى عالمنا هذا .. »

قالت وقد لمعت الدموع فى عينيها . وهى تنظر بلى الافق كأنها تحلم :

- « انهم هذه المرأة المسكينة التى امتلكت كل شيء عدا الحب . ف من أحد يفهمها الا امرأة اعرف الشعور لاننى جربته من قبل . هذه الملكة كانت أعلى من حولها أعلى من زمنها .. »

بدا الرضا على الأب . وانتظر حتى هدأت عواطف ابنته . ثم قال :

- « الان دعونا نتكلم عن ذلك الصندوق الحجرى .. أنا مقتنع بأنه يفتح طبقا لطريقة ضمنية ما . هناك حقائق كثيرة نجهلها عن الضوء واعتقادى انها أرض بكر للباحثين . خلال السنوات الأخيرة عرفنا عن الضوء ما كان يكفى لإرسال المكتشفين للمحرقه منذ قرنين أشعة (رونتجن) .. الرادون . أشعة (بيكوريل) . الراديوم يمكن القول ان كل مصدر ضوئى له قوى خاصة به نحن نلاحظ ان نار البارافين تختلف عن نار الفحم أو نار ريت الحوت . هب فكرت فى الزيت الموجود فى أوعية الملكة (تيرا) الكاثودية هذه الأوعية تم تصنيع للاحتفاظ بأحشائها بل لعرض ما لقد فحصت هذه الأوعية وجدت أن هذا زيت حشب الارز . هب خطر لى انه مستخدم لملء المصابيح . أنت تعرف ان زيت حشب الارز كان يستعمل بكثرة فى طقوس الفراعنة وله خاصية انكسر فريدة نحن نستعمله فى المجهر لاعطاء رؤية افضل لقد ملأت مصباحا وأشعته ووضعته جوار الصندوق .. كن التأثير مبهرًا وقد بدا كأن الصندوق يتألق من الداخل . بينما كان تأثير الضوء الكهربى محدودا لقد طبعت كميات أخرى من هذا الزيت وسوف نرى .. »

قال الطبيب :

« لنفرض أننا فعلاً نجحنا في فتح الصندوق بهذه الطريقة ..
 ألا يتلف هذا (ميكانيزم) الفتح فيما بعد ؟ »

كان شكه هذا ما دفعني إلى التفكير في أشياء أخرى كثيرة .

الفصل 14

الكهف

مر بنا الوقت مسرعاً في بعض الأحيان وبطئاً في بعضها . كنت أفكر في التجربة المقبلة بكل ما فيها من غموض ، شاعراً بحماسة من يعرضون أنفسهم لخطر كهذا .. كل شيء غامض جداً . كل شيء غير ضروري !

حتى لو نحدث هذه التجربة فما جدواها ؟ أية متاعب لن تسببها ؟ ماذا سيحدث لو عرف الناس ان أبواب بيت الموت ليست موصدة للأبد ؟ وأن الموتى قد يعودون للحياة ؟ ما تأثير نجاح هذه التجربة على معتقداتنا الدينية ؟ هل تعني هذه التجربة وجود قوى عليا أخرى غير التي آمننا بها المسيحية ثمانية عشر قرناً ؟ سوف يعني هذا فرضية مفزعة لدرجة أن المرء لا يجسر على التفكير فيها .

ما الذي رآه الشاعر (ملتون) بعينه الكفيفتين في ضوء الإلهام الشعري ؟

كان الموضوع أكبر منى لهذا كفت عن التفكير ورحت أنتظر في صبر ما تسفر عنه الأمور . احتفظت (مارجريت) بهدونها وقد حسنتها على هذا ، وإن اتسم باقي الرجال بالتوتر والعصبية ..

في ذلك المساء اجتمع بنا مستر (تريلونى) فى مكتبه . وقد أرهفت السمع لما سيقول :

- « لقد توصلت إلى أنه كى ينجح ما أطلق عليه (تجربتنا الكبرى) فإن علينا أن ننعزل . ننعزل بالكامل . ليس ليوم أو اثنين بل لآى وقت نحتاج إليه .. هذا شيء عسير التحقيق فى هذه المدينة الكبرى حيث تفتح خلوتك برقيات .. خطابات مسجلة . بالإضافة لهذا تتركز عيون الشرطة على هذا المكان بعد ما حدث فى الفترة الماضية أضف لهذا أن الخدم الذين تركوا العمل سوف يتكلمون .. وسوف يعرف الخدم فى البيوت المحصورة بالأمر ، وبعدها سوف يتسرب الأمر إلى الصحافة . يجب أن نفكر فى العزلة ومن حسن الحظ أننى فكرت فى الموضوع منذ زمن . وقد أعدت بيتى فى (كورنول) لاستقبال النحف التى وضعتها هنا . إنه مساء بالكهرباء ومعزول تماما . وهو يقف فوق جرف صخرى خنف تل منحدر فلا يمكن رؤيته إلا من البحر .. لقد رتب مع المحامى (مارفين) أن يعد كل شيء للنقل . هناك قطار مخصص لنا سوف ينطلق ليلا ، وقد أعدت عددا من العربات والرجال لنقل متاعنا إلى (بلانجنون) .

سوف نبدأ حزم أمتعتنا اليوم ويجب أن نكون مستعدين مساء غد مسر (جرائت) سوف ترتب رحيل الخدم إلى (كيليون) .. إن الخدم الذين بقوا مخلصون لنا بشدة ، وهذا يعود لمعاملة (مارجريت) الحسنة لهم .. »

هكذا بدأت العمل . كانت هناك حاويات عملاقة مدعمة بالخشب ووضعتها فى البيت ، كلاً جوار الشيء الذى ستحويه لا أحد يستطيع أن يتخيل كم الجهد الذى يقتضيه عمل كهذا الذى قمنا به . كل شيء تم تحت إشراف مستر (تريلونى) الذى كان يمسك بقائمة يسجل فيها موضع كل شيء .

انتهى العمل تماما فى وقت العشاء فى اليوم التالى . وسرعان ما جاء موكب العربات قبل منتصف الليل بقليل . تم نقل كل شيء ، وقد جينا البيت الذى تحول إلى فوضى بعد رحيل الخدم . فى كل غرفة أكوام من الغبار والقش والقاذورات ..

آخر شيء قام به مستر (تريلونى) هو أن فتح الخزنة وأخرج منها جوهرة النجوم السبعة ووضعها فى جيبه . قالت له (مارجريت) مشجعة :

- « لا تخف يا أبى . ستمر رحلتنا بسلاسة .. ما دام جسد النجمى يحوم حولنا فهو تعرف .. ولنسوف تغمرنا بحمايتها ما دامت تعرف مهمتنا ! »

وركبنا سيارة أجرة إلى (بلانجتون) ..

تم تحميل كل شيء في المحطة . بينما ركبنا نحن عربات نوم . وما إن تحرك القطار حتى نعمت بنوم هادئ . شعرت بشكل ما أن ما قالته (مارجريت) بشأن عدم حدوث مشاكل له معنى ما وإن كنت عرفت فيما بعد سبب كونها متأكدة لهذا الحد ..

برغم هذا كانت هناك إشارة مقلقة لم نشعر بها لأننا كنا نياما .. في الصباح أخبرنا أحد عمال القطار أن القطار كان في طريقه بين (دوليش) و (تيجنماوث) عندما أوقفته إشارة تحذير من شخص وقف على القصيب يلوح بمصباح .. وقد وجد السائق انهيارا أرضيا أمام القطار . لقد تهاوى جزء من التربة الحمراء على جانب الطريق لكنه لم يبلغ القضبان . وهكذا واصل السائق طريقه متضايقا من التأخير ..

وصلنا (وسترسون) في التاسعة مساء . لم تنتظر لمراقبة عملية تحميل العربات لأن القادمين كانوا رجالا أكفاء ، وانطلقنا بعربات تجرها الخيول إلى (كيليون) ..

كان البيت عبارة عن بناء صخري رمادي عظيم يتلأأ في ضوء القمر .. وكان يقف فوق جرف صخري يطل على أمواج البحر ..

من الداخل كان البيت نظيفا منسقا لأن الخدم سبقونا واعتنوا به ، وقد اغتسلنا من وعشاء السفر وبدلنا ثيابنا ..

تناولت العشاء في قاعة طعام جنوبية بينما صوت الأمواج لا يكف عن الهدير . ثم دعانا مسر (تريلوني) إلى غرفة مكتبه التي كانت فيها خزنة كبيرة تشبه بالضبط خزنته في بيت (لندن) ، ثم راح يبحث في جيبه عن الجوهرة . بدا عليه القلق وغمغم .

- « رباه . تبني مختلفة أرجو ألا يكون شيء خطأ قد حدث .. »

التفتنا حوله نحن الرجال ، بينما وقفت (مارجريت) هادئة .. كأنها تمثال . كانت هناك نظرة بعيدة في عينيها كأنها لا تعرف أو تبالي بما يحدث حولها ..

بحث (تريلوني) عن الجوهرة ، ثم سقط على المقعد ، وقال بصوت خشن :

- « رباه ' لقد اختفت ' ومن بونها لا قيمة للتجربة العظمى ' »

هنا انفلت (مارجريت) ، فقالت :

- « ربما سقطت من جيبك في غرفتك يا أبي »

اندفعنا بلا كلام إلى الحجرة المجاورة ثم هبطت الراحة علينا ..

هناك على منضدة كانت جوهرة النجوم السبعة . تلمع كأن النجوم حبيسة فيها .

وسرعان ما حمل مسر (تريلوني) الجوهرة إلى الحجرة المجاورة وألقاها في الخزنة .. وتنفس الصعداء ..

هنا بدأت العربات تصر .. وقفنا بترتيب كل شيء ووضع التحف في أماكنها ..

وفي الصباح - بعد ليلة هادئة - أعلن مسر (تريونى) ان الخدم سيعودون الى لندن هذه الليلة مع مسر (جرائت)

لما انفردت مسر (تريونى) في مكتبه بعد هذا قال :

- « فى أى شيء هناك سر نحفظ به منذ ثمانمائة عام . يقسم الناس ان يبقود سرا وهذا قسم لم يحدث به احد قط : لن أطلبكم بان تقسموا لى أن يظل هذا السر طى الكتمان »

أقسمنا له كما أراد ، فأردف :

- « هناك كهف فى هذا البيت .. كهف طبيعي تحت البيت تم استكماله صناعيا .. ثم استعمل فى التهريب فى فترة من التاريخ . »
وغادر القاعة بضع دقائق ثم عاد وطلب من أن نتيه

فى هناك تمثال لملات تمت إراحته بعيدا . وحفنه كانت فتحة حائكة الظلام ورأينا بداية درج مشينا خلف مضيف فلم يكن الداخل مظلم تماما . وبعد خمسين سلما متعة وجدنا اننا فى كهف عظيم . كانت هناك بكرة معلقة أعلى المكان بدا أنها (ونش) يستعمل لإنزال أو رفع أثقال كبيرة .

- « تلك هى البقعة التى اخترتها .. أو من أنها تحقق شروط هذه التجربة ونحن هنا معزولون كالملكة نفسها فى قبرها الحصى لو نجحت التجربة فنحن نقدم للعلم الحديث قبسا من نور لا ينقد من العلوم القديمة ، أما لو فشلنا فلسوف يقضى سر محاولتنا معنا .. »

أخذ مسر (تريونى) شهيقا عميقا ، ثم بصوت أكثر مرخا وأكثر تصميمًا قال :

- « والآن لنبدأ .. »

رحنا نرصد فى أماكن حددها لنا (تريونى) التابوت وأشياء أخرى من مقبرة (تيرا) كنت أشعر بأن (مارجريت) تغيرت نوعا . أرى فيها نوعا من التصميم والقسوة وقد تقلصت شفتها فى شكل خط رفيع لم أره من قبل . رحبت فى سرى أتعنى أن تعود كما كانت وأن تفشل هذه التجربة بسرعة ..

فى النهاية قال مسر (تريونى) :

- « كل شيء فى موضعه .. فقط بقى الانتظار حتى اللحظة المناسبة »

صمتنا جميعا ، ثم قرر د (ونشستر) أن يتكلم أولاً :

- « ما هى اللحظة المناسبة ؟ هل لديك تخيل تقريبي لها ؟ »

« لقد فكرت فى يوم 31 يوليو .. »

« هل لى أن أعرف السبب ؟ »

« لأن الملكة كانت ستختار لعودتها الشهر الذى يسيطر عليه إله مسئول عن إحياء الموتى (ر ع) . رب الشمس أنه ينهض فى الصباح كأنه يكرر معجزة النعت . إنها اختارت لعودتها الشهر الرابع .. وهو يتوافق فى بدايته مع 25 يوليو - لذا توقعت أن تنهض فى اليوم السابع أى الموافق 31 يوليو بتقويمنا . »
هكذا صار علينا أن ننتظر يومين حتى يأتى ذلك اليوم الموعود ..

الفصل 15

درس الـ (كا)

فى تلك الأيام كنت قلقا .. قلقا على (مارجريت) ! لم يكن السبب أننى أشك فى حبها ولا أخلافها ولا رقتها .. كنت أشك فيها هى !

كنت (مارجريت) تتغير ! فى لحظات بعينها كنت أشعر أن هذه (مارجريت) أخرى غير التى ركبت معها ذلك القارب .. (مارجريت) كثيرة الشرود ولكنها تتبع كل شيء ، وفى عينيها داء مخيف ينفرنى منها . ثم تثوب لرشدتها فتقول لى كلاما غلبا كئيبا اعتادت قوله ، لكنها تبدو مختلفة تماما .. كأنها تسمع بروفة مسرحية مكتوبة لها ..

بعد مرة أو اثنتين من هذه التجارب بدأت أتغير تجاهها وراحت علاقتنا تزداد برودا . باستثناء لحظات نادرة أدرك فيها أنها استعادت شخصيتها .. هذه اللحظات هى ما أبقي حبي لها ..

كنت أتمنى أن أصرح أحدا بأفكارى ، لكن من تصارح ؟ حتى أبين استحيل أن يسمع لك . لذا اكتفيت بالصبر والأمل .. وقد شعرت هى بتغير من جهتي ، لذا راحت تحاول أن تظل بقربى أكثر ساعات اليوم . وهو ذات ما كنت أفعله أنا فى الماضى !

خرجت وحدي في المساء لأنى أردت أن أفكر ، وهناك في الظلام أطلقت العنان لشكوكى التى أخفيتها عن نفسى كل هذه الفترة .. كانت النتيجة مروعة لكنها منطقية جداً .

(مارجريت) ولدت لأم ميتة فى ذات الوقت الذى كان أبوها فيها فى أسوان بفحص مومياء ملكة ساحرة .. ملكة قيل إنها قادرة على التحرر من قيود المادة لتمارس الانتقال النجمى هذا جعلها - برغم المسافة بين لندن وأسوان - قادرة على التأثير على الأم والطفلة معاً ..

لقد ماتت الأم وطفلتها ، الروح حلت بالجسد الصغير الميت ليبدأ حياته ..

لو كانت عقيدة الـ (كا) عند المصريين حقيقية ، فإن بوسع الـ (كا) والـ (خو) أن يحركا أى جسد يحلان به .. هكذا لا تكون (مارجريت) شخصاً على الإطلاق ، بل مجرد طور من أطوار الملكة (نيرا) ..

كيف أصدق هذا الكلام ؟ أصدق أنه لا توجد (مارجريت) ، بل مجرد صورة تحوى روح امرأة ماتت منذ أربعين قرناً ، برغم هذا صارت الصورة أوضح الآن .. تذكر أن (كوربك) قتل إن (مارجريت) تشبه الملكة .. لا أصدق أن الأم (توحمت) على صورة الملكة فهى لم ترها قبل أن تموت ..

لماذا اختفى كتاب (فان هيون) الذى قرأت فيه عن جوهرة النجوم السبعة ؟

لماذا وجئنا المصاييح فى مخدعها ؟

ماذا عن شكوك الرقيب (دو) والطبيب فى (مارجريت) ؟ ولماذا تتكلم (مارجريت) بهذه الثقة كأنها تعرف كل شىء عما يدور فى عقل الملكة (نيرا) ؟ ذات مرة قلت لها وأبيها :

- « أليس من الحكمة أن نتخذ كل احتياطات ممكنة فى حالة ما لم تحب الملكة أن نعيدها للحياة ؟ »

كنت إجابة (مارجريت) سريعة ، إذ قالت وكأنها تاهت من قبل : - « لكنها موافقة ! أبى يفعل بالضبط وبكز جواتحه ما أرادته الملكة ! »

- « الظروف تختلف . لقد أعدت تجربتها لنتم فى الصحراء المنعزلة وفى بلدها . لاحظى أنها قد لا تحب ما نقوم به ، عندها يجب ألا ننمى أنها قتلت أو تسببت فى قتل تسعة أشخاص حسب ما نعرفه .. يمكنها أن تكون قاسية إذا أرادت .. »

قال مستر (تريلونى) :

« يا صاحبي ، لا أنكر أن الملكة أرادت العزلة في تجربتها ، لكن هذا صار مستحيلًا بعد ما فتح الهولندي (فان هوين) قبرها .. بالتالي لم أكن أنا من اقتحم خلوتها ولا ذنب لي في هذا فقط أنا أحاول الاستفادة من خيط أحداث لم أكن البديء فيه . ولقد قمت بإعداد كل شيء كأحسن ما يكون ، فإن كان ثمة خط فهو لعجزى عن فهم جزء من الشفرات التي تركتها . أريد للتحربة العظمى أن تتجح مثلها بالضبط .. »

أخذنا للنوم استعدادًا لليلة الغد .. ستكون ليلة مقلقة وقد أراد مستر (تريلوني) أن نسترد قوائنا سيكون النهار كذلك مريبًا بالعمل ، لأننا يجب أن نعد كل شيء بحيث لا تفشل التحريسة نتيجة ثغرات نسيناها ..

أعدنا كذلك العدة لطلب العون لو احتجنا إليه في الواقع كانت مخاوفنا هنا أقل مما كانت في لندن أثناء غيبوبة مستر (تريلوني) ..

كنت أقل خوفًا من (تيرا) لأنه لو كان الأمر كما نتوقع ، فإن ما نفعه هو أن نحقق إرانتها .. ما كنت أخشاه هو حالة (مارجريت) .. لو كان صحيحًا أنها تحمل شخصية مزدوجة ، فمإذا عساه يحدث لو صارت الشخصيتان شيئًا واحدًا ؟ هذه

الفكرة كانت تدفنى للجنس ، ولم يغزنى في شيء كون (مارجريت) هادئة وكون أبيها مطمئنًا .. إن الحب شيء أناني وهو يبقى ظلاً أسود على أي شيء يقف بينه وبين الضوء ..

بدأ لي أنني أسمع صوت عقارب الساعة وهي تدور .. أرى كيف يستحيل الظلام للون الرماد ثم يستحيل الرماد إلى ضوء ..

بهضت من فراشي ومشيت في الردهة ، وكنا قد رتبنا أن يطر باب كل منا مواربًا حتى يمكن سماع أي صوت من داخل الغرفة أو خروجها ..

كان الجميع ناعمين في سلام كما عرفت من صوت أنفاسهم ، وقد مرتني أن هذه الليلة المربعة قد مرت .. نزلت إلى حيث البحر وأنا أنتوى أن أسبح في الماء البارد بعض الوقت كي أستعيد نفسي القديمة من جديد ..

وتحت لرمق الشمس وهي تشرق صابغة الصخور بنون الذهب .. يرعد هذا شعرت بشيء من قلق لأن الضوء كان ساطعًا أكثر من اللازم ، وهو ما ينتز بقدم عاصفة ..

هنا شعرت بيد على كتفي من الخلف ..

استدرت فوجدت (مارجريت) .. (مارجريت) متألقة كمجد شمس الصباح ! (مارجريت) حبيبتى .. (مارجريت) القديمة بلا شيء يغيرها ..

لكن إذ عدنا بعد جولة قصيرة في المرتفعات ، بدا لى أن الكتابة والقلق والأمل ما زالوا بانتظاري ..

تناولنا الإفطار ثم عدنا إلى الكهف حيث كان مستر (تريلونى) يرتب كل شيء .. كانت معه أوراق يراجعها ، وكما شرح لنا كانت هذه الأوراق تحوى النقوش التى نسخها مع (كوربك) فى وادى الساحرة فى مصر ..

شرح لنا أشياء لم تكن فى الورق .. مثلاً سوف ترقد المومياة بحيث يكون رأسها للشرق وقدمها للغرب لتتلقى تيارات الأرض الطبيعية . هذا يعنى أن القوة المستخدمة نوع من الطاقة المغناطيسية .. ثم عرض علينا الخرائط التى رسمها لوضع النقوش والتبوت داخل القبر ، فطلبت منه (مارجريت) أن يعيرها الرسوم لتدرسها ..

« لقد زودت البيت بالتيار الكهربى ، بحيث أتأكد من أن كل ركن مضاء باستمرار .. إن التيار الكهربى يأتى من مولدين يعملان بوساطة أمواج البحر هكذا نتأكد من أن أى خطأ لن يحدث * .. الآن علينا تحديد الساعة التى تتم فيها التحربة على قدر ما أعرف فإن كل الساعات تتشابه ، لكن يجب ألا ننسى أننا نتعامل مع عقل مدقق .. عقل امرأة تؤمن بالسحر وبأن كل

(*) لاحظ أن التيار الكهربى كان اخترعاً وليداً فى عصر انقصة ، ووجوده فى البيت يعنى مزيجاً من التراث القديم والدقة فى الإعداد .

شيء له معنى مخفى ، فعلينا أن نفكر بدقة أكثر .. نحن نعرف أن للغروب دوراً مهماً فى الترتيبات .. فكر كذلك فى الرقم سبعة المهم بالنسبة لها .. من هذا يمكن أن نقدر أنها الساعة السابعة بعد الغروب .. وبما أنها تغرب فى (كورنوول) فى الساعة ، فإن لنا أن نفترض أن الساعة المختارة هى الثالثة صباحاً ! »

لاحظت شحوب وجه الرجال والصمت الذى ساد المكان بعد هذه الكلمات .. الشخص الوحيد الذى ظل كما هو كان (مارجريت) التى بدا أنها مسرورة جداً .. وقد تعلم أبوها لسبب ما أن سرورها علامة على دقة استنتاجاته ..

لقد بدا لى تحديد الساعة بهذه الدقة كأنه صوت القدر .. حينما أفكر فى هذا الموقف الآن أفهم كيف يشعر الرجل المحكوم عليه بسماع ساعة التنفيذ . لا تراجع الآن ..

ملأت المصابيح بالزيت وتأكدنا من أن الفتائل فى حالة طيبة .. كانت الساعة الرابعة فجلسنا لتناول غداء متأخر .. ثم اقترحت على (مارجريت) أن تنام بعض الوقت كي تقاوم إرهاق الليلة .. تناولنا الشاي بعد الاستيقاظ فلحقت بنا (مارجريت) ، وقالت لأبيها :

« لقد رحت أدرس تلك الرسوم وما قلته لنا اليوم . وأرى أن من الممكن أن تكون هناك قراءة أخرى ' »

سألها في قلبى :

- « وما هي ؟ »

- « عند الغروب تدخل الـ (كا) إلى الـ (أب) أى أن الروح تدخل القلب .. ولن تغادره إلا مع الشروق . أى أن هذه السنة تظل صورة الملكة الحرة فى قلبها . قلنها الغائى الذى لا يستطيع ترك بقايا المومياء .. حينما تلمس الشمس الماء - أى وقت الغروب - ستكف الملكة عن التواجد ككائن واع ، السى أن تشرق الشمس ثانية . ما لم تستدعها التجربة العظمى . أى أننا سنكون فى مأمن منها وقت التجربة لأنها ستكون مجرد جثة بالسة معنومة الحيلة .. »

واستدارت لتبتعد ورأيت للحظة فى عينيها أثر اندموع لكن لهاها لم يرق لهذه الدموع .. كان يصفى بصرامة ذكرتنى بوجهه عندما كان تحت تأثير الغيبوبة ..

عدت لغرفتى للراحة بعض الوقت ، عندما طرق (كوريك) الباب وقال لى إن مستر (تريلونى) يريدنا فى الكهف حالا

هرعت إلى هناك ، ولحقت بنا (مارجريت) وقطعها فى حضنها حينما رأى القط عدوه القديم - مومياء القط - حاول أن ينزل لكنها أحكمت السيطرة عليه ..

نظرت لماعتنى فوجدتها الثامنة ..

قال الأب :

- « هل تؤمنين حقاً يا (مارجريت) أن الملكة (تيرا) قبلت بإرادتها أن تظل مجرد مومياء بلا حيلة إلى أن تتم التجربة ؟ »
بعد صمت قالت (مارجريت) :

- « نعم . »

لاحظت ان صوتها ونظراتها وكل شيء فيها قد تغير . حتى انقط لاحظ هذا فتخلص من ذراعيها . وللعرابة لم يهاجم مومياء انقط بل انكمش خائفا ثم زحف على ساقي ومسح نفسه مصدرا (مياو) مثيرة للشفقة ..

- « إذن لو كنت أنت الملكة (تيرا) لحاولت إثبات هذه التجربة مهما حدث ؟ »

قالت فى ثبات :

- « نعم .. بلية طريقة .. »

ماذا يحرى هنا ؟ ثمة شيء مهم لكننا لا نفهم كنهه .

اتجه (تريلونى) إلى الجهة الغربية ومزق ستورا يحجب نافذة هب الهواء البارد ومعه بدا مشهد الغروب أشار إلى

حيث كانت الشمس تغطس في ماء البحر ، وقال بصوت لن أنساه
حتى الممات :

- « اختارى .. تكلمى ' لو اضطررت للتخلص عن شيطنتك فهل
تقبلين ؟ لو غابت الشمس نهائياً يكون أوان التراجع قد فات ' »
- « متأكدة .. لو كنت فى مكان (تيرا) لتخليت عن كل شيء ..
هذه الليلة للأرباب فقط .. »

ووقفت جوار مومياء القط ..

غابت الشمس وسقط الظل البارد على وحوشها .. ها
استعادت كل لطفها ورقتها ، وقالت :

- « لقد غربت الشمس يا أبى .. ترى هل نعيش لنرى ليلة
أخرى ؟ لقد جاءت ليلة الليالى ! »

الفصل 16

التجربة العظمى

من الغريب أن ترى مدى ما بلغه تصديقنا للقصة ، وقبولنا
لكلام (مارجريت) كامر مسلم به ..

لقد تعاوننا مع مستر (تريلونى) على إنزال منضدة من خشب
البنوط الى الكهف .. وضعناها تحت مجموعة من الأضواء فى
وسط الكهف .. نظرت لها (مارجريت) بعض الوقت ثم شحب
وجهها ، وبصوت متوتر سألت :

- « ماذا ستفعله يا أبى ؟ »

- « سأفك مومياء القط .. الملكة (تيرا) لن تحتاج الى
شيطتها الليلة .. لو أنها احتجت إليه فليسوف نكون فى خطر »

- « فقط أفكر فى (سيفيو) .. كيف يكون شعورى لو كانت
موميأوه هى التى ستفك من أربطتها ! »

أحضر (تريلونى) مقصاً ومضفا .. شعرت بمعدتى تنقبض ..
هذه بداية عملنا .. ماذا سيرا هذا الكهف عندما يمر منتصف
"تير" صوت الريح فى الخارج يزيد شعور الوحشة .. والأمواج
تضرب الشط كأنها النيز .. لكننا بدأنا فك المومياء ..

كان عدد الأربطة خيائياً .. وقد تم لصقها بالصمغ والقار .. تصاعد غبار أحمر عذب حواسنا أكثر أخيراً رأينا الحيوان جالساً أمامنا وكانت أسنانه ومخالبه سليمة .. وكانت عيناه مغمضتين لكن وجهه لم يكن مفزعاً كما توقعنا كان ضخماً كأنه نمر صغير وكلما نظرنا له أكثر بدنا بشعر باترعب .
فهنا تجد الدليل على أن مخاوفنا حقيقية .

كان فيه ملطخاً بدم جافاً

أخرج د . (ونشستر) عدسة وراح يفحص محائب المخلوق .
ثم قال :

« كما توقعنا .. في يده سبعة أصابع ! »

حمل (تريلونى) المخلوق واتجه للباب . فصاحت (مارجريت) :

« خذ الحذر يا أبى .. قد يؤذيك ! إلى أين أنت ذاهب ؟ »

« إلى المطبخ يا بنيتى . إن النار قادرة على انقضاء على أى خطر . حتى الحسد السحري لا يتجسد من رمال »

أطلقت شهقة وبدأت تبكى فكدت أنحقق بها . لكنها انشردت لى
كى أبتعد :

« اذهب مع الآخرين للمطبخ .. قد يحتاج لك أبى . يا للحيوان المسكين ! قط الملكة المفضل ! هذه جريمة قتل ! »

فى المطبخ كانت هناك كومة من الأخشاب .. أشعل مستر (تريلونى) النار فيها وألقى جسد القط .. فى لحظات صار الحسد كتنة سوداء وسط النهب وامتلت الحجرة برائحة الشعر المحروق مواد التحنيط صارت وقوداً بدورها وسرعان ما اشتعلت

لقد تلاشى شيطان الملكة (تيرا) !

عدنا إلى (مارجريت) التى كانت جالسة فى الظلام ..
وسألتنا :

« ماذا سنفعل الآن ؟ »

قال الأب :

« سوف نفت الأربطة عن الملكة (تيرا) ! »

دنت منه ، وهمست :

« أبى . أنت لن تفعل هذا . كنكم رجال وهذا الضوء يكشف كل

شئء تصور يا أبى امرأة وحدها . فى هذا المكان . »

ريت على كتفها مواسياً ، وقال :

« لست امرأة يا بنيتى بل مومياء . لقد ظلت ميتة خمسة
الآلاف سنة ! »

- « المرأة هي المرأة حتى لو بعد خمسة آلاف قرن ثم إنك تقول إنها ستنهض .. إذن هي ليست ميتة فعلاً . »

- « هذه ليست مسرة بل هي تجربة مروعة قد تغير وجه الكون .. وهناك أخطار داهمة قد تمس كل شخص هنا . نحن لا نلعب بل بصدد مسألة شديدة الخطر .. »

قبلته ، وقالت :

- « افعل ما تراه يا أبى وان كنت اعتبرها إهانة عظيمة لملكة وامرأة .. »

هكذا تعاوننا على فتح التابوت وأخرجنا المومياء . كانت طويلة القامة عريضة ثقيلة . لكن نجحت في نقلها إلى المنضدة .

وبدأنا في فك الأربطة . كانت كثيرة جداً .. وبرغم هذا كانت تكشف عن الجسد البشرى الذى بدا فى أرواح حالته وهو مغطى كان ما تراه هو الموت ولا شيء سواه ..

كان المستكشفون قد قاما بهذا العمل كثيراً وكان الطبيب بحكم عمله معتاداً هذه الأمور ، لكنى أنا المحامى وقفت شاعراً بالعار والألم والاشمئزاز .. لم أتحل في العنينة ، لكن كومة الأربطة راحت تتجمع على الأرض عالية مهولة ..

لقد بدأ حجم المومياء ينكمش الى المقاييس البشرية العادية . وكان الأب ينزع آخر الأربطة الآن . ثم نظر لابنته . وقال .

- « لا تقلقى .. الملكة ترتدى روباً ! »

كانت الملكة مدثرة من القدمين حتى الذقن فى ثوب حريرى لاشك فى أنه أفخم نوع من الحرير راته عيوننا .. وقد ضم إلى العنق والقدمين بحلية من ذهب . كما كانت تحيط بالجسد حزمة من الجواهر . حزمة تبدو من وهجها كأنها نجوم حبيسة ..

نظرت (مارجريت) إلى المشهد ، ثم وقفت وقالت بلهجة العليم .

- « هذا ليس كفن . لم يقصد به تغطية الموت .. إنه ثوب زفاف ! »

تفحص (تريلونى) الثوب وعرفت من تلاحق أنفاسه أنه مندهش ، ثم قال :

- « بالفعل هذا ليس كفناً .. إنه لا يلتف حول الجسد بل وضع فوقه .. »

ومد يده يحمل الثوب فى رفق بين يديه . شيء بهذا الجمال لا يمكن التعامل معه إلا بحذر ..

ووقفنا ننظر الى الملكة رائعة الحسن الراقدة أمامنا مجردة .. لم يكن هذا يشبه الموت بأى حال . كان أقرب إلى تمثال من عاج تحته (براكستيلس) .. لا شيء من انكماش المومياءات وجفافها . النحوم ممثلن محتفظ بنعومتهم ومسامهم .. هنا - فى

مزيج من غضب وحياء - ألفت (مارجريت) الثوب على الحسد العارى حتى لم يبق منه مكشوفاً إلا الوجه

أنف ملء بالكبرياء ، وأهداب ترقد فوق الخدين شعر أسود كجناحي غراب . لقد أذهلنى شبهها الشديد مع (مارجريت) برغم أن كلمات (كوريك) السابقة جعلتنى أنهيأ لهذا .

هنا انهار (تريلونى) فهرعت (مارجريت) تساعد . قال لها :

- « أشعر كأن هذه جثتك يا طفلى ! »

ودوت العاصفة بعنف فى الخارج ، على حين قال :

- « يجب معرفة طريقته فى التحنيط هذه ليست كاية طريقة أعرفها ، ولم يتم إفراغ الأحشاء .. ان الأوردة ممتلئة ليس بالدم لكن بشيء آخر هل يكون القوم وقتها قد تعلموا حقن الأوردة بشفع البارافين ؟ »

رحنا ننتظر فى المكتبة متوترين ، فقد بقيت ساعتان على موعد التجربة .. الساعة السبعة بعد الغروب أى الشقة صباحا .. استراحت (مارجريت) فى غرفة أبيها ، وعدم دقت الساعة الثانية صباحاً بدا أننا نغيق من غيبوبة . أعدنا أجهزة الاستشاق التى قدرنا أننا سنكون بحاجة لها لو تسب غار سلام ما

وضعت اليد المبتورة فى موضعها الصحيح فوق صدرها . تحتها كانت جوهرة النجوم السبعة ، التى جلبها مستر (تريلونى) من الخزانة .. بدت كأنها تتألق بلا توقف فى الضوء الكهربى ..

وضعتنا أجهزة الاستشاق وجلسنا كما اتفقنا . كنت أقف حوار محول الكهرباء لأظلم الأنوار أو أشغلها حسب أوامر مستر (تريلونى) ، وكانت أوامره لى مرعبة وتحذيره أخطر .. قال إن موت أحدا قد يحدث بسبب عدم التزامى حريف بتعليماته .

كان على مستر (تريلونى) و(كوريك) التأكد من إضاءة المصباح الزيتية . وليقف الأول عند رأس والثانى عند قدم للتأبوت .

كان مرور الدقائق الباقية مرعباً . إذ وقف مستر (تريلونى) ينظر لساعته والثقب فى يده كأنه مدفعجى فى الحروب الغابرة ..

ثم دق الجرس .. مرة .. مرتين . ثلاثاً !

اشتعلت فتائل المصابيح وأطفاأت النور الكهربى .. لقد اتخذت المعرفة شكلاً مرعباً وبدا كأن كل شيء يتبدل ..

وانظرنا وقتوبنا نخفق .. على الأقل أعرف أن قلبى فعل ذلك .. مصريع للتوافد ترجها للعصفاة كأن شيئاً بالخارج يحاول الدخول . كان الزمن توقف .

فجأة دوى صوت كالانفجار وانفتح الصندوق الحجرى ..

لا شك فيما يحدث الآن . تحرك الغطاء للجانب ثم بدأ يرتفع ببطء .. ومن الصندوق بدأ بخار يتصاعد متجها نحو التابوت .. لم أستطع معرفة الرائحة بسبب جهاز الاستنشاق لكنى خمنت أن له رائحة نفاذة غريبة .

لم أعد أدرى إن كان الصندوق يتألق أم هو التابوت . وكان الدخان يزداد كثافة متجها نحو المومياء ..

لم أستطع فهم ما يحدث لأنى كنت بعيداً ، وودت لو اقتربت لأرى لكنى تذكرت تحذير مستر (تريلونى) لى .

العاصفة تتزايد حتى بدت لى كأنها شخص حتى غاضب .. خيل لى أن شيئاً أبيض يرتفع من التابوت ، لكن عيني كنتا منهكتين من الوهج الأبيض فلم أثق بهما البتة

شئ يشبه الضباب ووسطه أرى تلك الجوهرة .. والضوء يسبح من هذا الضباب إلى الصندوق . إنها معجزة الضوء !

هنا كانت العاصفة قد انتصرت ، وسرعان ما اندفع تيار من الهواء ليفتح مصراع النافذة ويرتطم بالجدار . ثم انضمت المصابيح كلها وتبدد الضباب الأخضر ..

بدأ دخان أسود يتصاعد من الصندوق . ازداد كثافة حتى صارت الرؤية فى الكهف كله عسيرة . أشار مستر (تريلونى) لـ (كوربت) فأسرع يحاول إغلاق المصراع من جديد ..

كنت أتمنى أن أساعد لكن مكاتى جوار محول الكهرباء كان أكثر أهمية . سوف يكون للضوء أهمية كبرى لو استمر هذا الجحيم ..

إن الظلام يتزايد .. ويبدو أن أضواء الصندوق تضعف بلا توقف . كما أن المصابيح كانت تنفث أنفاسها الأخيرة

الضباب يتزايد والرائحة تمزق أنوفنا وعيوننا .

ثم بدأت أرى شيئاً يتحرك من موضع التابوت . استطعت أن أرى لمحة من اللون الأبيض وساد الظلام أخيراً

كان هذا هو الوقت المناسب للكلام ، فقلت بصوت عال :

- « هل أعيد الأضواء يا مستر (تريلونى) ؟ »

لا إجابة ..

- « مستر (تريلونى) . سوف أعيد الضوء لو لم تمنعنى من ذلك .. »

لم تكن هناك إجابة لذا شغلت المحول لكن الضوء الكهربى لم يعد ! ثمة خطأ جسيم هنا !

انطلقت قاصداً الدرج لأعرف السبب ، لكنى لم أر شيئاً .. كان الظلام دامساً ..

مشيت عبر الغرفة إلى حيث (مارجريت) لكنى تعثرت فى جسد على الأرض .. شعرت من ثوبها أنها امرأة سقطت قلبى فى قدمى .. (مارجريت) فائدة الوعي أو ميتة .. رفعت الجسد فى يدي ومشيت حتى اصطدمت بجدار .. ثم إلى ممشى وأحيراً وجدت درجات سلم . وصعدت الدرج تحركنى عواطفى مما جعلنى لا أشعر بثقل هذا الجسد العزيز الذى أحمله .

ارقدت الجسد على أرض الصلاة وهرعت لغرفة (مارجريت) حيث أعرف أن هناك أعواد ثقاب .. أشعلت ثقاباً وشعرت بسرور لأننى أرى النور من جديد ..

أشعلت شمعين وعدت للرددة بحثاً عن مارجريت .. لكن جسدها لم يكن هناك !

فقط كان ثوب العروس للخاص بالملكة (تيرا) على الأرض وحيث كان القلب وجدت جوهرة النجوم السبعة ..

شعرت بغثيان ورعب لا اسم له ..

عدت إلى الكهف والشمعان فى يدي .. وضعت جهاز الاستشاق على فمى وبحثت عن رفاقى . وجدتهم جميعاً حيث تركتهم .

ممددين على الأرض يحدقون فى السقف بعيون شاخصة من الذعر ..

(مارجريت) غطت وجهها بيديها لكن نظرة الهلع فى عينيها الزجاجيتين كانت تبدو بين أطلالها ..

فتحت مصراع النافذة لأسمح للهواء بالدخول . كانت العاصفة تخمد بسرعة كما بدأت ..

لقد أنهت عملها !

حاولت ما أستطيع مع رفاقى لأقذهم لكن بلا جدوى ..

هنا فى هذا البيت المقفر بعيداً عن عون البشر ، انتصر الهلاك .. ومن رحمة الله أننى لم أضطر لتحمل عذاب الأمل ..

النهاية الثانية التي ظهرت في طبعة عام 1912

(تبدأ من اللحظة التي صارت فيها الساعة الثانية صباحاً)

بدا أن صوت دقات الساعة معننة الثانية صباحاً قد أُنصتوا جميعاً .. كأن كل الظلال التي أحاطت بنا قد زالت فجأة ..

بدأنا نمارس مهماتنا في نشاط وبقظة أعدنا أجهزة الاستنشاق التي قدرنا أننا سنكون بحاجة لها لو اتبعنا غاز سام ما .. ثم إننا نقلنا مومياء الملكة (تيرا) إلى أريكة في غرفة الأب ، وغطيناها بملاءة بحيث لو نهضت يكفيها الانزلاق من تحتها ..

وضعنا اليد المقطوعة في مكانها على صدر المومياء ، وتحتها جوهرة النجوم السبعة ، التي جلبها مستر (تريلوني) من الخزانة .. بدت كأنها تتألق بلا توقف في الضوء الكهربى ..

كان مشهداً غريباً أن ترى هذه المجموعة من الرجال الصامتين يحملون هذا الجسد الذى يبدو كتمثال من عاج .. وضعناه على الأريكة ..

كان الشبه بين (مارجريت) والمومياء قد أثار دهولنا ، خاصة مع شحوب (مارجريت) الشديد ..

وعندما لم يبق من الوقت إلا القليل طلبت (مارجريت) منى أن نأتى بـ (سيلفيو) .. جاء إليها وهو يقر فاحتضنته إلى صدرها .. أغلقت باب الغرفة ورائعاً شاعراً بشعور مقبض بالنهاية .. لن تكون هناك عودة ..

وضعنا أجهزة الاستنشاق ، واتخذنا أماكننا التي رتبناها .. دوت دقات الساعة فبدأ أنها تضرب قلوبنا .. مرة .. مرتين .. ثلاثاً !

اشتعلت فتائل المصابيح وأطفأت النور الكهربى .. لقد اتخذت الغرفة شكلاً مربعاً وبدأ كأن كل شيء يتبدل .. وانتظرنا وقلوبنا تخفق .. على الأقل أعرف أن قلبى فعل ذلك ..

أرى ثوب (مارجريت) الأبيض وحده وسط الظلام وأرى أجهزة الاستنشاق على الأوف .. أرى فك مستر (تريلوني) المربع ووجه (كوربك) الحليق .. وعبر الغرفة أرى عيني (سيلفيو) كزمرتين ..

الآن صار الضوء أكثر ثباتاً .. وبدأ كأنه يتغير من الأزرق إلى الأبيض الشفاف ..

فجأة دوى صوت كالانفجار وانفتح الصندوق الحجرى ..

لا شك فيما يحدث الآن .. تحرك الغطاء للجانب ثم بدأ يرتفع ببطء .. ومن الصندوق بدأ بخار يتصاعد متجهاً نحو التابوت .. لم أستطع شم الرائحة بسبب جهاز الاستنشاق لكنى خمنت أن له رائحة نفاذة غريبة ..

ازداد الدخان كثافة فلم أعد أرى (تريلونى) ولا (مارجريت) ..
ولاحظت أن المصابيح أوشكت على الانطفاء .. هذا غريب ..
لابد أنها استنفدت وقودها فى فترة أقصر مما توقعنا ..

انتظرت وانتظرت .. متوقفا فى كل لحظة أن أسمع الأمر
بإضاءة النور لكن لا شيء من هذا ..

وما زال الدخان يتصاعد بكثافة من التابوت .. بينما المصابيح
تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

أسمع صوت مواء (سيلفيو) المثير للشفقة وأرى لمحات من
ثوب (مارجريت) التى فاق قلعى عليها الوصف ..

شعرت بـ (سيلفيو) يتمسح فى ساقى .. ثم تلاشى آخر قبس
من الضوء ، فلم يبق إلا بياض خفيف حول مستنقير النافذة ..
نزعنا جهاز الاستنشاق ، وصحت :

- « هل أعيد الأضواء يا مستر (تريلونى) ؟ »

لا إجابة ..

- « مستر (تريلونى) .. سوف أعيد الضوء .. لو لم تمنعنى
من ذلك .. »

لا إجابة ، لكنى عبر الغرفة سمعت صوت (مارجريت) يتكلم
فى رقة وعذوبة كأنه الجرس ..

- « نعم يا (مالكولم) .. »

حركت المحول فعلت الأضواء .. لكنها كانت مجرد جزر ضوئية
وسط بحر من الظلام .. جريت نحو (مارجريت) مهتديا بثوبها
الأبيض واعتصرت يدها فى يدي ، ولقد أدركت لهفتى ، فقالت :

- « أنا بخير .. »

- « الحمد لله .. لكن أين الآخرون ؟ تعالى نفتح النوافذ ليخرج
هذا الدخان .. »

لدهشتى قالت فى طريقة ناعسة :

- « سيكونون على ما يرام وإن يصيبهم أذى .. »

لم أسألها عن مصدر استنتاجها وضحت النوافذ والباب .. سرعان
ما بدأ الدخان الأسود يخرج من النوافذ وبدأت أرى معالم الغرفة ..

جوار الأريكة كان د . (ونشستر) على ظهره .. وعلى الجهة
الأخرى من التابوت رقد مستر (تريلونى) و (كوربك) ..
وسررتى أنه برغم فقدانهم الوعي كانوا يتنفسون بصعوبة ..

(مارجريت) كانت فى حالة من الاضطراب ولكنها ساعدتني على
حمل أبيها إلى جوار نافذة من النوافذ .. وكذا فعلنا بالباقيين ..

حتى اللحظة كانت مشكلتى هى إعادتهم للوعي ، والآن وقد
بدعوا يفيقون بدأت أتساءل عما صار إليه مصير هذه التجربة ..

كان الصندوق مفتوحا وقد بدا واضحا أنه مقسم من الداخل ،
لكن كل محتوياته تحولت إلى سناج أسود .. كذا كان التابوت ..
كل شيء فى الغرفة تحول إلى سناج لزج ..

كانت الملاعة على الأريكة كما هي لكنها أزيحت جانباً كما يفعل المرء عندما يغادر الفراش ..

لكن لا أثر للملكة (تيرا) !

وضعت يدي على كتفي (مارجريت) ، وهمست لها :

- « ماذا حدث للملكة ؟ قولي لي .. أنت كنت قريبة ورأيت كل شيء .. »

قالت في نعومة :

- « لم يكن هناك شيء يمكن أن أراه .. ظلت عياني على الأريكة حتى ازداد الدخان كثافة .. شعرت بحركة قريبة مني وخطر لي أن هذا د. (ونشستر) ، ثم فكرت في أنها الملكة تمشي ! تخليت عن (سيلفيو) ولا أعرف أين ذهب .. »

كأنما يرد عليها جاء (سيلفيو) ومسح نفسه في ثوبها فحملته بين ذراعيها ..

عندما عاد مستر (تريلوني) لوعيه وبعده مستر (كوريك) رحنا نفتش الغرفة بعناية .. لم نجد إلا بعض الغبار له رائحة غريبة تذكرك بالموت .. على الأريكة كانت الجوهرة التي تضعها الملكة في شعرها ..

فيما عدا هذا لم نعرف قط ما حدث .. لكن شيئاً واحداً جعلنا نرجح تدمير المومياء .. إن الغبار الذي وجدناه هو ذاته الغبار الذي تبقى بعد عملية حرق مومياء القط ..

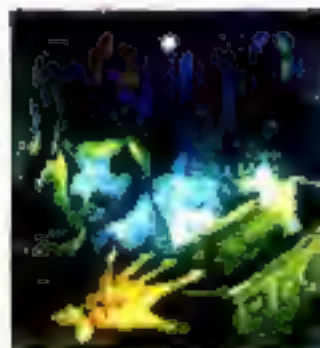
في الخريف تزوجت (مارجريت) ..

وقد ارتدت في حفل الزفاف ذات الجواهر التي كانت الملكة تضعها في شعرها .. وعلى صدرها ارتدت قلادة من ذهب تحمل جوهرة النجوم السبعة .. كانت الشمس تلمع عليها فتتألق كأنما تنبض بالحياة ..

اعتدنا أن نفكر في الملكة العظيمة ولطالما تكلمنا عنها .. قلت لزوجتي إنني حزين لأن الملكة لم تخط لعالم جديد وحياة جديدة ، فوضعت زوجتي يديها بين يدي ، وبدت في عينيها تلك النظرة الحالمة ، وقالت :

- « لا تحزن من أجلها ! من يدري ؟ لربما وجدت السرور الذي كانت تبحث عنه .. الحب والصبر هما سبب سعادة الكون .. في هذا العالم .. في الماضي .. في الحاضر .. لقد حلمت حلمها ، وهذا هو كل ما يطمح له أي واحد فينا .. »

برام ستوكر 1912



63

جوهرة النجوم السبعة

كانت الملكة (تيرا) تعرف أن الكهنة سيحاربونها وسيحاولون
محو اسمها ؛ لذا قررت أن تتعلم أساليبهم وأن تمارس السحر
الأسود كي تعود للحياة يوماً ما .. ذهبت مومياء (تيرا) خمسة
آلاف سنة ، ثم ظهر ذلك المستكشف البريطاني الأحمق الذي
قرر ألا يبالي بهذا كله .. أحرق لدرجة ألا يهتم بحقيقة أن
ابنته تشبه الملكة بشكل مريب ! .. يكفيننا هذا ولنندع سيد
الرعب القوطي (برام ستوكر) يحكي لنا القصة بنفسه ..

العدد القادم

مغامرات أرسين لوين

المؤسسة
العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع والمطبعة والمساهمة

الشمع في مصر 300

وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم